



المعهد العالي للهندسة  
والتكنولوجيا بطنطا

=====

# محاضرات في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية

إعداد  
الدكتور / جمال الوكيل

٢٠٢٣-٢٠٢٤

## الفصل الأول

مفهوم الحضارة الإسلامية

وأهم مقوماتها وخصائصها

أولاً : مفهوم الحضارة عبر العصور.

ثانياً: أسس الحضارة الإسلامية.

ثالثاً: خصائص الحضارة الإسلامية.

### أولاً : مفهوم الحضارة عامة :

الحضارة والمدنية لفظان مترادفان في اللغة العربية يقابلهما في اللغة الانجليزية كلمة Civilization ويقابلها في اللغة الفرنسية نفس اللفظ تقريباً Civilization مع اختلاف محدود في النطق وأصل الكلمة في اللغتين هو civil بمعنى مدنى أى غير عسكري أو متحضر .

والحضارة في اللغة العربية أحد مصادر الفعل حضر بمعنى أتى يقال: حضر فلان حضارة: أقام في الحضر، وتحضر يتحضر ..تخلق بأخلاق أهل الحضر وعاداتهم.

### مفهوم كلمة الحضارة فى العصر الحديث:

تستعمل كلمة الحضارة في العصر الحديث لأداء معنيين مختلفين:  
الأول: المعنى الوصفي الذى يقصد به مجموع الحياة التي يحياها شعب واحد أو شعوب عدة بما تضم من نظم في الحكم وسبل في تحصيل المعاش وعلاقات اجتماعية ومعرفة نظرية وعملية وقواعد سلوكية.  
الثاني : القيم التي تتضمنها الحضارات وتتميز بها او تقارن وتقابل حضارة أخرى.

### مفهوم الحضارة في اللغة العربية وبخاصة عن ابن خلدون:

الحضارة بأنها:"تقنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه" . هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة وتفاوتا غير متحضر وتقع فيها عند كثرة الفتن في أنواعها وأصنافها.

أهم أسس الحضارة الإسلامية:

(١) القرآن الكريم

(٢) السنة النبوية

(٣) الاستفادة من الحضارات الأخرى

(٤) اللغة العربية

(٥) الاطار الجغرافى

(٦) المبادئ الأخلاقية

### خصائص الحضارة العربية الاسلامية

**أولاً :** انها حضارة ايمان تؤمن بالله ورسالاته وأنبيائه عليهم السلام وتهتدى بهدي خاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

**ثانياً :** انها تتصف بالمرونة وسعة الأفق بمعنى أن الحضارة والاسلامية لم تكن منغلقة على نفسها وعرضه وماله .

**ثالثاً :** إنها حضارة محبة وسلام ففي ظل السلام يكون الانشاء والتعمير وفي ظل السلام يأمن كل فرد على نفسه وعرضه وماله .

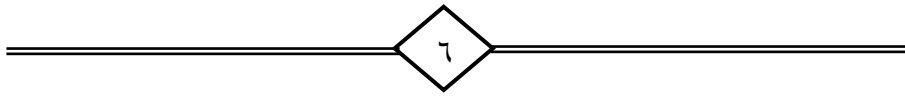
**رابعاً:** انها حضارة تسامح لا حقد فيها ولا كراهية وقد أمر الله عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام بالصفح والتسامح في أكثر من موضع وبهذه الروح الطيبة نظر الاسلام الي اهل الذمة نظرة كلها تسامح فأعطاهم حقوقهم كاملة غير منقوصة.

**خامساً:** إن الحضارة الاسلامية تتصف بالحيوية والاستمرار والوحدة فهذه الحضارة منذ مولدها وحتى الان ظلت حية قائمة لم تمت مطلقاً لئن

تعرضت للذبول حيناً نتيجة لعوامل طارئة منها الهجمات الاستعمارية الشرسة على شتى انحاء العالم الاسلامي.

سادساً: انها حضارة انسانية بكل معاني الكلمة تستهدف أولاً وأخيراً خير الانسان في الدنيا والآخرة والرحمة به والحفاظ على كرامته.

سابعاً: تتصف الحضارة الاسلامية بالأمانة المطلقة وهي صفة ميزتها عن كثير من الحضارات السابقة عليها واللاحقة بها فإذا كان علماء هذه الحضارة قد ترجموا ونقلوا الكثير من علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم فإنهم لم ينسبوا ما نقلوه الي انفسهم وانما الي اصحابه الذين نقلوا عنه



## الفصل الثاني

### النظام السياسي

### في الحضارة الإسلامية

أولاً : الخلافة .

ثانياً : الوزارة .

ثالثاً : الحجابة .

## أولاً : الخلافة :

الخلافة مستحدث فرضته الظروف السياسية على الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي (ص) دون أن يترك نصاً على من يخلفه .

### تعريفات الخلافة :

عرفها ابن خلدون: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدنيوية نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا. وعرفها الماوردي صاحب الأحكام السلطانية: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا

وعرفها صاحب المقاصد: رئاسة عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم، الخليفة إذن هو القائم بحراسة الدين وسياسة الدنيا نيابة عن الرسول (ص)

### مهام الخليفة:

- ١- الدفاع عن الدين الإسلامي والمحافظة على سلامة العقيدة الإسلامية.
- ٢- صيانة النفس والمال والمحافظة علي الأمن والنظام.
- ٣- نشر الدعوة الإسلامية والعمل على تسهيل دخول الناس فيها.
- ٤- تطبيق شريعة الإسلام . ٥- قيادة الجند والجهاد في سبيل الله .
- ٦- جباية الزكاة والصدقات ٧- العمل على تدبير أمر رعيته بنفسه

### شروط تولي منصب الخلافة:

- ١- العدالة .
- ٢- العلم بأصول الدين .



٣- سلامة الحواس والجسد والخلو من أي عاهات.

٤- القدرة على القيام بمسؤوليات الخليفة .

٥- النسب القرشي وأن حدث فيه اختلاف.

٦- الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية الدين

### الخلافة عصر الخلفاء الراشدين:

قام نظام الخلافة يوم السقيفة فقد واجه أهل المدينة مشكلة بالغة الخطر وهي من يخلف النبي صلي الله عليه وسلم في رئاسة الدولة الإسلامية وقبل أن يتم تجهيز جثمان النبي صلي الله عليه وسلم ودفنه، اسرع الأنصار فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يسبقوا المهاجرين باختيار رجل منهم. وبلغ المهاجرين اجتماع الأنصار بالسقيفة، فخافوا افتراق الكلمة ووقوع الفتنة، فترك بعضهم مما كانوا فيه من تجهيز جثمان النبي (ص)، وأسرع إلي مكان الاجتماع ثلاثة من أقطابهم، هم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح.

وتبادل قادة الفريقين الخطب والعبارات الشديدة، لكن التنافس القديم بين الأوس والخزرج عاد إلي ظهور في ذلك الطرف العصيب ، فأضعف ذلك من جانب الأنصار. وانتزع عمر بن الخطاب رجل الموقف في ذلك اليوم، فتقدم إلي أبي بكر فبايعه، وتتابع المهاجرون من بعده يبايعونه ، ثم تقدمت الأوس فبايعت لتقطع علي الخزرج ما أرادت؛ وأخيراً بايعت الخزرج كذلك علي كره منها؛ ثم بايع الناس في اليوم التالي أبا بكر في المسجد بيعة عامة، ثم استقر الرأي علي أن يكون لقب أبي بكر خليفة رسول الله. وهكذا قام نظام الخلافة.

### عوامل اختيار أبوبكر خليفة للمسلمين :

- ١- أول من إسلام من الرجال .
- ٢- رفيقه في الغار .
- ٣- اكبر الصحابة سنا .
- ٤- ساعد الرسول الأيمن في المدينة.
- ٥- جعله الرسول يوم المسلمين أثناء مرضه في الصلاة .

### خلافة عمر:

لما مرض أبو بكر أحس بدنو أجله خشى أن تقبض روحه ولم يعهد بالخلافة إلى أحد يجمع كلمة المسلمين ويوحدهم أن يعود الخلافة بينهم ويتمكن العدو منهم فنظر إلى أصحابه ليتخير من بينهم رجلا يتوافر فيه الشدة دون العنف فوجد أن عمر بن الخطاب توافرت فيه هذه الصفة وكان هناك أيضا على بن أبي طالب ولكنه لم يريد أن ينفرد بالرأي فأخذ مشورة الصحابة وسألهم عن عمر فأثنى عليه ووافقوا على اختياره.

ونلاحظ أن أبو بكر لم ينتخب أحد من أقاربه أو أبنائه.

### خلافة عثمان :

لما طعن عمر بن الخطاب واحس بدنو أجله وذهب إليه الصحابة لاختار خليفة فرشح كل من عثمان بن عفان - على بن أبي طالب - سعد بن أبي وقاص - عبد الرحمن بن عوف - الزبير بن العوام وعبد الله بن عمر على ان لا يكون له من الامر شيئا فأوصى بأن تكون الخلافة للرجل الذي يقع عليه

الاختيار وبهذه الطريقة تم اختيار عثمان بن عفان بعد أن تنازل الصحابة حتى أصبح الأمر محصوراً بين علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان .

### خلافة علي بن أبي طالب:

بعد وفاة عثمان مال معظم الناس إلي توليه علي بن أبي طالب فهو ابن عم النبي وزوج ابنته وأول من آمن من الصبيان وكان أبو بكر يستشيريه في مهام الأمور وكان عمر يثق فيه لما يعبد فيه الفقه والذكاء والدين وتم اختياره خليفة للمسلمين وبذلك نلاحظ أن الخلافة في عهد الراشدين كانت قائمة على الشورى والانتخاب.

### سمات الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين:

ظلت الخلافة زمن الخلفاء الراشدين انتخابية شورية وغلبت البساطة علي مراسم الخلافة، فبايع أهل العقد والحل وهم إذ ذاك أهل المدينة كل خليفة من الخلفاء الأربعة علي العمل بالكتاب الكريم والسنة النبوية خاصة. وكان الانتخاب يتم بمصافحة بالأيدي كما يفعل المتبايعان عند العرب لذا يسمى هذا الانتخاب باسم " البيعة " وطريقة الخلفاء الراشدين تجمع بين الجمهورية والشوري والملكية. أما الجمهورية، فلأن الخليفة يتم اختياره من قريش بلا حصر ولا تعيين وهي شورية لأن الانتخاب يتم بالشوري بين أهل العقد والحل وهم آنذاك جمهور المهاجرين والانصار؛ ثم هي ملكية محدودة لأن الخليفة يتقيد بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية. ثم انقلبت الخلافة إلي ملكية مطلقة تقريباً علي يد معاوية بن أبي سفيان، ولا سيما بعد أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد ، فسن بذلك سنة الملك الموروث .

### الخلافة في العهد الأموي :

الجدير بالذكر أن الفتوح الإسلامية توقفت بسبب الفتنة التي أدت مقتل عثمان بن عفان ، واندلاع الحرب الأهلية بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن ابي سفيان في الفترة بين ٣٥هـ و ٤١هـ وبعدها صارت الخلافة الإسلامية إلي معاوية بن أبي سفيان عام ٤١هـ وهو معروف " بعام الجماعة " لاجتماع كلمة زعماء المسلمين علي مبايعته وأخذ الخليفة الجديد في استئناف الفتوح الإسلامية بهمة ونشاط ، ولكنها توقفت ثانية بوفاته بسبب عوده الفتن الداخلية التي ترتبت علي أخذ معاوية البيعة بولاية العهد لابنه يزيد، إذ اعتبر أهل الحجاز هذه البيعة خروجاً علي السنة التي جرى عليها الخلفاء الأربعة من قبل. وأدي ذلك إلي ثورة الحجازيين وبذلك أندلع لهيب الفتنة الثانية ، ووقعت حروب دامية بين الأمويين وآل الزبير في الحجاز والشام والعراق ، وطال أمد هذه الحروب حتي عام ٧٣هـ، حين تم النصر النهائي للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان علي آل الزبير ، ولذلك يعرف العام المذكور " بعام للجماعة الثاني. وجرت العادة في الدولتين الأموية والعباسية علي أنه متي ببيع الخليفة انتقل إلي دار الخلافة في موكب حافل، ثم ترد إليه وفود المهنيين من البلاد. ثم خُد في الدولة العباسية انه متي تمت البيعة، اختار الخليفة لقباً من الألقاب كالرشيد والأمين والمأمون والمعتمد بالله وهكذا.

### الخلافة في العهد العباسي:

انتقل الحكم الي العباسيين وقد استمرت الدولة العباسية زهاء خمسة قرون وبقيام الدولة العباسية تطور نظام الخلافة وقد حذا العباسيون حذو الامويين في توريث الحكم ولما نال العباسيون الخلافة تحت ستار الدفاع عن

آل على الذين كانوا يعتقدون اول انهم اصحاب الخلافة الشرعيون لم يعدل والخلافة العباسية اوجدها الفرس يقولون بنظرية الحق الملكي المقدس بمعنى ان كل رجل لا ينتسب إلى البيت المالك يعتبر مغتصبا لحق غيره لذلك اصبح الخليفة العباسي يحكم بتفويض من الله لا من الشعب كما يتجلي ذلك من قول ابي جعفر المنصور انما انا سلطان الله في ارضه وكان من اثر ميل الخلفاء العباسيين الي الفرس ان اصبح نظام الحكم في عهدهم مماثلا لما كان عليه في بلاد الفرس ايام آل ساسان .

ولهذا فاننا نجد وزيرا من اصل فارسي على رأس الحكومة كما نجد ايضا ان الخلافة تدار بنفس النظام الذي كانت تدار به امبراطورية آل ساسان وهذا يفسر لنا استبداد هؤلاء الخلفاء بالسلطة فتسلطوا على ارواح الرعية واحتجب الخليفة عن رعيته فاحيط شخص الخليفة بالقداسة والرغبة والجبروت وظهرت الازياء الفارسية في البلاط العباسي.

اضف الي ذلك ارتداء الخليفة بردة النبي صلى الله عليه وسلم عند الخلافة او حضوره في الحفلات الدينية وذلك باعتباره نائبا عنه في حكم المسلمين كذلك نجد ان الخليفة العباسي تلقب بلقب وانهم قد اصبحوا ائمة الناس بعد أن كان يطلق هذا اللقب في عصر الخلفاء الراشدين والامويين سار العباسيون على نظام تولية العهد اكثر من واحد وغلوا فيه عهد السفاح بالخلافة الي اخيه ابي جعفر المنصور ثم الي ابن اخيه عيسى بن موسى فلما آلت الخلافة الي المنصور وكبر ابنه المهدي فخلع عيسى ابن موسى وباع للمهدي جاء هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ) فولي عهده اولاده الثلاثة الامين والمأمون والمؤمن

وقسم البلاد بينهم فحصل المأمون بالشرق وجعل مركزه مرو والامين بالعراق والمؤمن بالمغرب مما أدى الي وقوع الفرقة وقيام الفتن والحروب الداخلية.

### ال خليفة المعتصم والعنصر التركي :

لقد اتجه الخلفية المعتصم بالله منذ توليه الخلافة غلي التوسع في جلب الأتراك بأعداد كبيرة، وإدخالهم الجيش، وكان دفعة إلي ذلك أن جيش الدولة العباسية حتي عهده كان يتكون من العنصرين الرئيسيين الفارسي والعربي .

كذلك أصبح المعتصم لا يثق بالجند الفارسي لتعصبهم للباس بن المأمون ، كما أن والده المعتصم كانت تركية . لذا أقبل علي الاستكثار منهم حتي بلغت عدتهم في عهده سبعين ألفاً ، وأخذ في سنة ٢٢١هـ في تخطيط مدينته الجديدة سامراء، وعول علي الانتقال بهم إليها، وسيد بها مقراً له، وأسند إليهم قيادة الجيوش نتيجة لذلك، استاء العرب وتآمروا علي قتل المعتصم، لكن المؤامرة اكتشفت وقتل مدبروها وتسبب هذ الحدث في إضعاف نفوذ العرب .

ولما توفي المعتصم سنة ٢٢٧هـ، بويع ابنه الواثق بالخلافة من بعده لم يحاول الأتراك التدخل في هذه البيعة او اختيار خليفة آخر. علماً بأن الواثق سار علي نهج أبيه في الاستعانة بالأتراك، فزاد من نفوذهم، ولم تشر المصادر لأية محاولة من جانبهم التدخل في شئون الخلافة مما تقدم يتضح لنا أن الخلافة في عهدي المعتصم والواثق مكنت الأتراك ورفعت شأنهم في الوقت الذي حافظت فيه علي سلطانها ونفوذها في إدارة الدولة .

ولما توفي الواثق دون أن يعهد بالخلافة لأحد من بعده ، اجتمع في دار الخلافة القاضي والوزير وعدد من رجال الدولة وقواد الأتراك لاختيار

الخلفية ومبايعته ، ورشحوا محمد بن الواثق للخلافة؛ غير أن الأتراك عارضوا هذا الترشيح لصغر سنة، ووقع اختبارهم علي جعفر بن المعتصم ولقب بالمتوكل علي الله ، ولقد كان نجاح الأتراك في إسناد الخلافة للمتوكل سابقة تكررت كثيراً فيما بعد، فأصبحوا يتدخلون في توليه الخلفاء ، فلا يتقلد أحد الخلافة إلا بموافقتهم. وشعر المتوكل أنه مدين لهم باختياره . ومن ثم عهد إليهم بكثير من المناصب منها علي سبيل المثال قيادة بعض فرق الجيش والإشراف علي البريد وعلي أن الأتراك مالوا إلي الاستبداد بالسلطة إلا أن المتوكل عمد إلي إشعارهم بقوة الخلافة كما حرص علي الاحتفاظ بحقوق الخلافة بعقدة البيعة بولاية العهد لأبنائه الثلاثة، بل وقسم ولايات الدولة بينهم. وبذلك حال دون تدخل الأتراك في اختيار الخلفاء.

هكذا أصبح الأتراك مصدر قلق للمتوكل ، فقرر المتوكل استبدالهم بعناصر أخرى من الجند ؛ فما كان أن اتفقوا مع المنتصر ابنه وولي عهد ، علي قتل أبيه، وكان هذا الاغتيال أول حادثة اعتداء علي الخلفاء العباسيين من جانب الأتراك .

ولما تم للأتراك قتل المتوكل، بايعوا ابنه المنتصر بالخلافة في سنة ٢٤٧هـ، وأجبروا أخويه علي مبايعته، ثم أخذت له البيعة من الناس. هكذا عمد الأتراك مرة ثانية إلي التدخل في مبايعة الخلفية . وكان من الطبيعي أن يزداد نفوذ الأتراك في عهد المنتصر، وأصبح واضحاً لجميع أن الخلافة لم يعد لها سلطان ولا نفوذ عليهم. ولم يكتف الأتراك بسيطرتهم علي الخلافة، بل امتدت أطماعهم إلي التدخل أيضاً في ولاية العهد، فأجبروا المنتصر في سنة ٢٤٨هـ

علي أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد خوفاً من انتقامهما إذا ولياً الخلافة. وادراك المنتصر مدي ازدياد نفوذ الأتراك، فعزم علي التخلص منهم، غير انه ما لبث أن توفي بعد حكم لم تطل مدته غير ستة أشهر.

بقيت الخلافة قوية في العصر العباسي الاول وظلت محتفظة بهيتها الي ان تسلط عليها اجناس متعددة من ترك وسلاجقة وبويهين فاصبح الخليفة العوبة في ايدي الجند ولم يعد له الا الاسم والظهور في الاحتفالات الرسمية بل تعرض بعض الخلفاء الي سمل العيون والعزل وعندما انقسمت الدول الاسلامية الي عدد من الدول قامت الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر والعباسية في بغداد وفي عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م قضى المغول علي الخلافة العباسية في بغداد حتى احيهاها السلطان الظاهر بيبرس مرة اخرى ولكن في مصر في عام ١٢٦١م/ ٦٥٩هـ ثم انتقلت الخلافة الي العثمانيين بعد ان فتح السلطان سليم الاول مصر عام ١٥١٧م واستمر نظام الخلافة الي ان نجح مصطفى كمال اتاتورك في القضاء علي نظام الخلافة واعلان النظام الجمهوري في ٢ مارس ١٩٢٤م .



## ثانياً : الوزارة :

### الوزير:

كلمة مشتقة من الوزر وهو الثقل لان الوزير يحمل أعباء الحكومة او من الوزر وهو الملجأ أو المعتصم بمعنى أنه يلجأ اليه ويرجع اليه رأيه وتدبيرة والوزارة فارسية الاصل وليست من مستحدثات الاسلام بل هي اقدم عهدا من ملوك آل ساسان فقد عرفت في بني اسرائيل.

عرفها ابن خلدون : أم الخطط السلطانية والرتب المملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الاعانة

تأتي الوزارة بعد الخلافة من حيث الأهمية السياسية والإدارية في الدولة الإسلامية والوزير وسيط بين الخليفة وبين الرعية ، فهو من ناحية يعين الخليفة في تعريف شئون الدولة ومباشرة مهامها كما أنه من ناحية أخرى يطلع الخليفة على أحوال الرعية بوجه عام .

واختلف اللغويون في لفظ وزير أهو عربي أصلاً أم عجمي ؟ ذهب بعض المستشرقين أن لفظ الوزير لفظ فارسي قديم تعنى البهلوية لما بين كلمة وزير و فيشر البهلوية من شبه وتعنى القاضي والحكم ومهما يكن أصله بهو مذكور في القرآن الكريم ، وعرفه المسلمون واستعملوه بمعناه إجمالاً في صدر الإسلام . قال ابن خلدون في مقدمته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ، ويخص ذلك أبا بكر بخصوصيات أخرى، حتى كان العرب الذين عرفوا الدولة وأحوالها في أيام كسرى وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيره وكذا عمر مع أبي بكر وعلى وعثمان مع عمر " .

وأُطرد الأمر على ذلك زمن بني أمية مع تغيير يسير، فاختر خلفاؤهم مستشارين يرجعون إليهم في مهام الدولة مثل زياد بن أبيه يقوم بأعمال الوزير في عهد معاوية بن أبي سفيان، وفي العصر العباسي صار معظم الوزراء من الفرس ، حتى بدا أن الفرس حرصوا على أن تكون الوزارة لهم، على حين اقتصرت الخلافة على العرب، ثم أن الوزارة احتكرتها أسر معينة مدداً مختلفة كالبرامكة وآل خاقان وآل الفرات، واختلفت أحوال الوزارة باختلاف حال الخليفة، ففي العصر العباسي الأولى ظل الوزراء منفذين لأوامر الخليفة، ولكن حين ضعف شأن الخلفاء زاد نفوذ الوزراء ، وصار الخليفة يفوض إلى وزيره النظر في شئون الدولة العامة ، ومن هنا جاء تقسيم الفقهاء الوزارة إلى وزارة تنفيذ ووزارة تقويض .

على أية حال ، أورد ابن طباطبا أن " أبا سلمة الخلال " كان أول من تقلب بالوزارة حين قلده الخليفة ابن العباس السفاح وزارته، ثم تطورت فغدت نظاماً له قوانينه وقواعده ورسومه، وفي أوائل القرن الثالث الهجري، ضعف شأن الوزارة بسبب ازدياد نفوذ الأتراك، واستثنائهم بالسلطة . ومع ذلك حافظت الوزارة على كثير من رسومها .

كان الخليفة يختار الوزير، ويسند إليه أعمال الوزارة كما سبق القول، وفي كثير من الأحيان يظل الوزير محتفظاً بمنصبه إذا ما توفي الخليفة أو عزل ، وكان بعض الخلفاء يسندون هذا المنصب لأفراد قدموا لهم خدمات. كذلك حرص بعض الخلفاء على اختيار وزرائهم من ذوي الكفاية الإدارية والعلم والمعرفة ، وكان الخليفة يحرص على اختيار وزيره من غير طبقة الفقهاء والعلماء ، واعتاد خلفاء العصر العباسي الثاني أن يختاروا وزرائهم من بين الكتاب وأبناء الوزراء ، ويرجع ذلك إلى ما تتمتع به هذه الطبقة

من خبرات في الشؤون الإدارية والمالية ، مما يؤهلها لشغل منصب الوزارة حتى انحصرت الوزارة في تلك الفترة في أسر معينة كما سبق القول ؛ فولى الوزارة من آل خاقان أربعة وزراء في سبعين عاماً ؛ وكذلك تقلد أربعة من بني الفرات الوزارة في خمسين عاماً .

ومما يسترعى الانتباه في وزراء تلك الفترة أن القليل منهم كانت تتوفر فيه الصفة الحربية ، فلم يل الوزارة من قواد الجيش إلا لحسن بن مخلد وزير الخليفة المعتمد .

#### مراسم تعيين الوزير :

جرت العادة أن يتم تعيين الوزير في حفل كبير يتميز بطابع خاص ورسوم معينة . وقد بلغت تلك المراسم حداً كبيراً من الروعة والبهاء ، ووصلت في عهد نفوذ الأتراك إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه من ترتيب وتنظيم ، فكان إذا وقع اختيار الخليفة على أحد الأفراد مناصب الوزارة ، أرسل إليه الخليفة مرسوماً مكتوباً يحمله أميران من أمراء الدولة، وعندما يتسلم الوزير هذا المرسوم يقصد دار الخلافة، وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ، فيقدمه الحاجب إلى الخليفة ، وبعد أن يمثل بين يديه، ويقر بقبوله هذا المنصب ، يتجه إلى حجرة أخرى ليرتدي الخلفة التي كانت بمثابة " زي الوزارة" التي منحها له الخليفة ، ثم يعود ليمثل مرة ثانية أمام الخليفة، فيقبل يده ويتسلم مرسوم التعيين ، ويقلده سيفاً، ويعقد له اللواء . ويخرج الوزير على فرس إلى دار الوزارة وبين يديه كبار الموظفين وقادة الجيش والأمراء وموظفوا البلاط والحجاب وخدام الخليفة والحرس، فإذا وصل ترجل وسط مظاهر الاحتفال ، وجلس يتقبل التهاني بمنصب الوزارة ، ثم يقرأ عليه السجل المتضمن مرسوم التعيين ، ثم يتقدم الجميع لتهنئته كل حسب مرتبته ، ثم ترد إليه الهدايا من الخليفة ، وكانت

تتكون من الطعام ، والشراب ، والألبسة والعطور ، والأثاث الثمين والتلج ، وإذا ما أسند هذا المنصب لأحد الأشخاص المتغيبين عن حاضرة الخلافة ، يعين الخليفة نائباً له في بغداد حتى يتم حضوره ، وقد أورد بعض الكتاب والمؤرخين وصف تولية الوزراء والوزارة ومواكبهم .

وكان قرار تعيين الوزير وتسلمه منصبه يبلغ لجميع الكور وأمرأ الأطراف ، ليعرف أهلها تولية الوزير الجديد . وكان يستقبلون نبأ تعيين الوزراء الجدد بترحاب وسرور وتفاوت احتفال الوزراء بتولية الوزارة ، وجرت العادة أن يخلع الخلفاء على وزرائهم ثياباً عند تقليدهم منصب الوزارة . وكان زي الوزير يتكون من القلنسوة ، ويعمم عليها بشاشة من الحرير ، ودراعة من الصوف وقميص وخف .

ولقد أغدق الخلفاء علي وزرائهم في عهد نفوذ الأتراك الألقاب ، فلقب المعتمد وزيره صاعد بن مخلد " الوزراتين " إشارة إلي تولية وزارة المعتمد والموفق ، كما لقب المعتمد أيضاً وزيره إسماعيل بن بلبل بلقب " الشكور الناصر لدين الله " ولقب الخلفية المكتفي وزيره القاسم بن عبيد بن سليمان بن وهب . " ولي الدولة " ولقب المقتدر وزيره السليم بن القاسم بلقب " عميد الدولة " .

كان للوزير دار خاصة يجلس فيها لمزاولة اعماله ، وبين يديه خاصة وحاشيته ، وكانت تسمى " دار المحزم " ، ثم عرفت بدار الوزارة بعد ذلك . ولما تناقصت مكانه الوزارة ي عهد المقتدر جلس الوزير محمد بن عبيد الله بن يحيي بن خاقان في " دار الحاجب " واقتدي به علي بن عيسي ، ثم عاود بعض الوزراء الجلوس في " دار الوزارة " فجلس فيها الوزير ابن الفرات في وزارته الثانية ، ثم بطل الجلوس فيها بعد عزله من منصبه في وزارته الثالثة .

وكان للوزير حراس يقفون علي دار الوزارة ، فضلاً عن غلمان مسلمين يخرجون بيد يدي الوزير حاملين سيوفهم . وكانت مقابلة الوزير للخلفية تجري وفق تقاليد محددة ورسوم معينة . فلم يكن الوزير يذهب إلي دار الخلافة إلا في أيام الموكب والاحتفالات الرسمية . وفي هذا اليوم ، يذهب إلي دار الخلافة كبار رجال الدولة لمقابلة الخليفة . عندما يصل الوزير يبعث كبير الحجاب إلي الخليفة خادماً يخبره بذلك . فإذا أذن له الخلفية بالدخول ، يدخل كبير الحجاب أولاً فيقبل الأرض فيأذن له الخليفة بإدخال القوم ، فيدخل أوليا العهد أولاً ، ثم يأذن للوزير بالدخول بعد ذلك ، فيتقدم حتي يفيق عن يمين مجلس الخليفة علي بعد خمسة أذرع ، ثم يتوالي بعده دخول بقية القوم كأمر الجيوش، وأصحاب الدواوين، والكتاب والقواد لمشاورة الخليفة في بعض الأمور علي انفراد ثم ينصرف لينظر في أعمال الدولة وحوائج العامة ، وكان علي الوزير مقابلته للخليفة ألا يتحدث إلا فيما يسأل عنه ، ولا يذم أبداً حضرة الخليفة حتي لا يثير غضبه .

كان الوزير في أثناء عمله اليومي يجلس وكتاب الدواوين يجلسون أمامه كل في مكانه ومعه دواته ، وكان رئيس هؤلاء يجلس متقدماً عليهم . ويتخذ الوزير عند توليته الوزارة كتاباً وأعواناً غير كتاب وأعوان الوزير السابق .

**أبرز مهام الوزير :**

١- الإشراف علي الشؤون المالية في الدولة ، ومراقبة مواردها ومصروفاتها، فضلاً عن مهامه الإدارية ، فله أن يتولي العمال علي الولايات ويعزلهم . كذلك أحيي له توليته عمال الخراج وكتاب الدواوين . كما أشرف في كثير من الأحيان علي تجهيز الجيوش وتسييرها للدفاع عن حقوق الدولة .

٢- كذلك اطلع بمهام الجلوس للمظالم نيابة عن الخلفاء والبحث في شكايات الناس . وكان من مهام الوزير أيضاً استقبال سفراء الدول قبل أن يحضروا بمقابلة الخليفة . ويحاول أثناء مقابلتهم الوقوف علي أحوال بلادهم وسياسة حكاهم ، ويتباحث معهم في الأمور التي جاءوا من أجلها ، ثم تعرض هذه الأمور علي الخليفة بحضوره .

### أنواع الوزارة

انقسمت الوزارة في عهد العباسيين قسمين:

#### ١- وزارة التنفيذ :

وهي التي تكون فيها مهمة الوزير تنفيذ اوامر الخليفة وعدم التصرف في شئون الدولة من تلقاء نفسه بل كان يعرض أمور الدولة على الخليفة ويتلقى اوامره فيها ولم يكن الوزير بهذا سوى واسطة بين الخليفة ورعيته .

#### ٢- وزارة التفويض:

وهي ان يعهد الخليفة بالوزارة الي رجل يفوض اليه النظر في امور الدولة والتصرف في شئونها دون الرجوع اليه ولم يبق للخليفة بعد ذلك الا ولاية العهد وسلطة عزل من يوليهم الوزير .

مدى سلطة وزير التفويض ويجوز لهذا الوزير أن يحكم بنفسه وأن يقلد الحكام ويجوز أن ينظر في المظالم ويستتعب فيها ويجوز أن يتولي الجهاد بنفسه وأن يقلد من يتولاه أما عن وزارة التنفيذ فيقول فحكمها أضعف وسط بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما امر ويعرض عليه ما ورد من مهم فهو معين في تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولا متقلدا لها.

الشروط التي يجب ان تتوافر فيمن يتقلد وزارة التنفيذ :

- ١- الأمانة .
- ٢- صدق اللهجة.
- ٣- قلة الطمع .
- ٤- أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء الذكاء .
- ٥- الفطنة والمهارة.
- ٦- النزاهة بحيث ألا يكون من أهل الأهواء .

**الوزارة في العصر الفاطمي:**

من أشهر وزراء مصر الوزير يعقوب بن كلس في عهد الخليفة العزيز بالله وتميز بالخبرة في النواحي الحربية والإدارية وهناك أيضا الوزير عيسى بن نسطورس ، ومع ضعف نفوذ الخلفاء اضطربت أحوال البلاد حتى استعان الخليفة المستنصر بالله ببدر الجمالي حاكم عكا وأنقذ البلاد من الفوضى وقضى على الشدة العظمى وتولى الوزارة ، وفي عهد الخليفة الحافظ بالله عين رضوان بن ولخش وزيراً.

**ثالثاً : الحجابة:**

الحاجب : هو الذى يتولى الاذن للناس في الدخول على السلطان وكان الخلفاء الراشدون لا يحبون احدا عن أبوابهم فالخليفة لم يكن يعتبر نفسه الا واحدا من المسلمين .

الحجابة في الدولة الاموية:

لما انتقل الأمر إلي بني امية اتخذ معاوية ومن جاء بعده من الخلفاء الحجاب بعد حادثة الخوارج التي قتل فيها على كرم الله وجهه وذلك خوفا من

ان يصيبهم ما أصابه من الاغتيال وتلافيا لازدحام الناس على أبوابهم وشغلهم عن النظر في مهام الدولة وكان الحاجب يشغل منصبا رفيعا في الدولة فقد مخصوصا في زمن الدولة الاموية والعباسية وكانوا يتخيرون صاحب هذه الخطة من افضل رجالهم.

#### الحجابه فى الدولة العباسية:

ولما جاءت الدولة العباسية وقد بلغت من العز والترف ما بلغت ، حببوا العامة عن الخليفة فاصبح لهم حجاب آخر اخص من الاول وصار بباب الخليفة داران الخاصة ودار الامة يقابل كل فئة في مكان معين عى ما يراه الحجاب .

الحجابه فى الدولة الاموية بالاندلس:زاد نفوذهم ويكون واسطة بينه وبين الوزارة فمن دونهم فكان المنصور بن أبي عامر وأبناؤه كذلك الحجابه فى عهد المماليك:

فى عهد المماليك لم تقتصر مهمة الحاجب على ادخال الناس على السلطان بل تجاوزتها الى الفصل فيما يحدث بين الامراء والجنود ثم اتسعت سلطته تدريجياً .



## الفصل الثالث

### النظام الإداري

### في الحضارة الإسلامية

أولاً : الامارة على البلدان .

ثانياً: الدواوين .

ثالثاً: القضاء .

رابعاً: الحسبة .

خامساً: الشرطة .

سادساً: الجيش والبحرية .

## أولا : الأمانة على البلدان :

### تمهيد :

القبيلة : عبارة عن جماعة من الناس تقيم في مكان واحد ولها نظام حكومي على رأسه شيخ القبيلة ويرتبط أهل القبيلة بعضهم ببعض برابطة النسب والدمولم يكن للعرب نوع من الحكومات المعروفة الآن.

كانت حكومة القبيلة ديمقراطية فقد كان شيخ القبيلة يجمع رؤساء العشائر الذين كان يتألف منهم شبه مجلس شيوخ القبيلة وذلك لتشااور والفصل في الأمور التي تتعلق بإعلان الحرب وإقرار السلم وكان من أفضل آثار الدين الاسلامي أنه أحيى بين المسلمين عى اختلاف قبائلهم ومراتبهم وأحل الوحدة الدينية فاصبحوا متساوين ولم تكن حكومة النبي صلى الله عليه وسلم حكومة دينية بل كانت حكومة سياسية أيضا كان يقود الجيوش ويفصل في الخصومات وقد وضع الرسول نواة النظام الإداري ولما هاجر الى المدينة وضع نظام الدولة الاسلامية على ما تقدم وكان ينبى عنه عمالا على القبائل وعلى المدن .

### الإمارة عى البلدان في عهد الخلفاء الراشدين:

ظل النظام الإداري للحكومة الاسلامية في الغالب على ما كان عليه في بلاد الفرس والروم ولما ولي ابو بكر الخلافة أقر عمال الرسول في أعمالهم ولما اتسعت رقعة الدولة العربية في خلافة عمر بن الخطاب قسم الدولة أقساما إدارية كبيرة ليسهل حكمها والإشراف على مواردها وهي ولاية الاهواز والبحرين وجعل بلاد فارس ثلاث ولايات وقسم بلاد الشام قسمين أحدهما حاضرتة حمص والثاني حاضرتة دمشق وقسم افريقية الي ثلاث ولايات مصر العليا ومصر الوسطى ومصر السفلى.

وكان عمر اول من وضع النظام الاداري للدولة الاسلامية ونظم ادارتها وكان في كل اقليم عامل (او والي او امير) مهام الوالى:

- ١- امامة الناس في الصلاة .
- ٢- الفصل في الخصومات .
- ٣- قيادة الجند في الحرب .
- ٤- جمع المال .
- ٥- يؤم الناس في الصلاة نيابة عن الخليفة .
- ٦- يشرف على الشرطة .
- ٧- بيده شئون الحرب وأعمال الجباية .

وكان الوالى يتمتع بقسط كبير من الاستقلال الدخلي ولا يرجع الي الخليفة إلا في الأمور الهامة.

وقد اختار عمر بن الخطاب الولاة من العرب وسار على هذه السياسة من جاء بعده من الخلفاء الراشدين.

وقد أدخلت تعديلات عديدة على التقسيمات الادارية في العهدين الاموي والعباسي تبعا لا تساع رقعة الدولة ووفقا للظروف الامنية.

لقد قسمت الدولة في العهد الاموي الي خمس ولايات هي:

- الحجاز واليمن وأواسط بلاد العرب .
- مصر بقسميها العلوي والسفلي.
- العراق العربي والعجمي (الواقع شرق العراق ومركزه مدينة مرو).
- بلاد الجزيرة وتتبعها ارمينية واذربيجان.

أما الشام فكانت مركز الخلافة الاموية وحاضرة الدولة وفي عهد العباسيين اعيد تقسيم الدولة الي ولايات مختلفة لانتقال مركز الخلافة من دمشق الي بغداد.

شروط تولى منصب الوالى:

لم تكن الولاية تسند إلا لمن :

١- عرف بحسن التدبير .

٢- المرونة والسياسية والخبرة والحكمة.

وكان أهم الموظفين في الولاية:

- صاحب الشرطة : ويعتمد عليه في نشر النظام والضرب على ايدي المفسدين والقبض على الجناة وكان ينوب عن الوالى اذا غاب في امامة الصلاة واعطيات الجند .

- عامل الخراج : وكانت مهمته تقدير الضرائب وتحصيلها ودفع اعطيات الجند وارسال ما تبقى الي بيت المال في العصمة.

- صاحب البريد: وكان يقوم بنقل الاخبار من دار الخلافة الي الولايات وبالعكس ثم اتسعت مهمته فاسند اليه الخلفاء العباسيون التجسس على الولاة.

- الجند : وكان الوالى هو الذى يقودهم في الحروب وربما اسند قيادتهم إلي من يرى فيه الكفاية.

أنواع الامارة :

تعددت أنواع الولايات وصارت متفاوتة على ما اقتضاه الزمان والمكان

ولكنها ترجع الي امارتين رئيسيتين هما:

٢- الامارة الخاصة .

١- الامارة العامة

**أولاً: الامارة العامة وهي نوعان:**

**أ- امارة الاستكفاء :** وهي أن يفوض الخليفة للامير امارة ما ويشمل هذا التفويض:

- تدبير الجيوش وتقدير ارزاقهم .
- النظر في الاحكام وتقليد القضاء والاحكام.
- جباية الخراج وقبض الزكاة والضرائب الاخرى.
- حماية الدين والدفع عن الحريم .
- اقامة الحدود في حق الله .
- الامامة في الجمع والجماعات وتيسير الحجيج.

ومن أشهر عمال امارة الاستكفاء في ايام الامويين عمرو بن العاص وزياد بن ابيه والحجاج والمغيرة بن شعبة ويزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك.

سار الخلفاء العباسيون على غرار هذه الخطة وكثيرا ما كانوا يفوضون الي بعض خاصتهم عملا من الاعمال فيرسل هذا من يقوم مقامه في ذلك العمل.

وكان الولاية يقيمون في ولاياتهم ويضربون النقود باسمائهم ويرسلون بقايا الخراج الي الخليفة .

**ب- امارة الاستيلاء:** وهي أن يستولي الامير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها ويفوض اليه تدبيرها وسياستها فيكون الامير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير والخليفة يأذنه لاحكام الدين ليخرج من الفساد الي الصحة.

### ثانيا: الامارة الخاصة :

وهي أن يكون الامير مقصور الامارة على تدبير الجيش وحماية البيضة والدفاع عن الحريم وليس له ان يتعرض للقضاء او الجباية والزكاة في شئ حتى الامام في الصلاة فربما كان القاضي اولى بمهمة والخليفة يعين قضاة لهذه الامارة وكذلك جباة ويقوم الجباة بجمع الخراج ويؤدون أعطيات الجند ويرسلون الباقي لحساب بيت المال المركزي وكذلك الامارات الخاصة قليلة في العهد العباسي.

## ثانياً : الدواوين :

وكلمة ديوان فارسية الاصل تعني السجل الذى يكتب فيه ما يختص بشئون الادارة ثم اصبحت تدل على المكان الذى يعمل فيه الكتاب. والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال يعتبر عمر بن الخطاب واضع اسس الحكم الاسلامي من الناحية العملية وذلك لاتساع رقعة الدولة فقد وضع الدواوين لتنظيم الادارة كانت الدواوين في عهد عمر تشمل:

الدواوين في الدولة الإسلامية،تقابل الوزارات في الدول المعاصرة اليوم، فقد كان من الطبيعي بعد أن اتسعت رقعة الدولة ، وتعددت مسؤوليات حكامها في شتى الميادين أنه تنشأ أجهزة إدارية يشرف كل منها على قطاع من قطاعات الدولة وكانت هذه الأجهزة هي الدواوين .

الديوان كلمة فارسية معناها الحرفي " السجل " أو " الدفتر " ثم نقل العرب هذا اللفظ، ثم أطلقوه مجازاً على المكان الذي يحتفظ فيه بالسجلات والدفاتر .

وقد بدأ عمر بإنشاء ديوان الخراج، ثم تعددت بعد ذلك الدواوين وكان أهمها ديوان الجند، وديوان الرسائل أو الإنشاء وديوان الخاتم وغيرها، وكان لكل ديوان اختصاصاته ومسؤولياته ، وكان لكل ديوان رئيسة المسئول ويسمى " صاحب الديوان " ومن أهم الدواوين في الإسلام : ديوان الخراج أو ديوان الجباية وهو ما عرف باسم " بيت المال " ويشبه وزارة الخزانة في وقتنا الحاضر، وكان صاحب هذا الديوان الخازن أو خازن بيت المال وهو بمثابة وزير الخزانة اليوم ، وكان عمر قد أنشأ هذا الديوان كما مر بنا على غرار الدواوين الفارسية المماثلة لضبط ميزانية الدولة : إيراداتها الهائلة المتعددة ومنصرفها ، لهذا كان

للدیوان فروعہ فی کل الأقالیم ومہمتہا الإشراف علی تحصیل الخراج الذی یجمع عیناً أی من نوع المحصول إلی جانب تحصیل الجزیة والعشور وغیرہا ویدون کل إيرادات الديوان بدقة ثم یبعث بالحصيلة إلی بیت مال المسلمین فی عاصمة الدولة المركزية، وكانت طبیعة هذا العمل تتطلب جهازاً كبيراً من الموظفين. وكان علی الوالی أن یستقطع من هذه الحصيلة، المبالغ اللازمة للإنفاق علی ولايته من رواتب الموظفين والجند والإصلاحات التي یراہا ضرورة للولاية وغير ذلك، ثم یبعث ببيان مفصل بذلك كله إلی بیت المال مع الفائض المتبقي .

أما ديوان الجند ویشبه وزارة الحربية اليوم، فقد أنشأه عمر بن الخطاب لتسجيل أسماء المحاربين ورتبة كل منهم، وراتبه وذلك ضماناً لأرزاقهم وأرزاق أسرهم حتی یتفرغ الجندي إلی أداء واجبه الأول وهو الجهاد فی سبیل الله بعد أن فض عمر فی إصرار السماح للجند العرب بتملك الأراضي حتی لا تشغلهم عن أداء واجباتهم العسكرية، وحتى لا تكون داعية إلی الاستقرار مما یهدد الروح العسكرية ویدعو للانصراف عن الجندي جریاً وراء الکسب ، فنظم أمور معاشهم وضمنه لهم .

ديوان العطاء سجل هذا الديوان أيضاً أسماء المستحقين للعطاء علی حسب أسبقیتهم فی خدمه الدولة ودخول الإسلام ، أو حفظهم للقرآن، وكان أزواج النبي علیہ السلام فی رأس القائمة ثم المهاجرون والأنصار وبقية القبائل العربیة وبقية الجنود العاديين ، وكان العطاء یتراوح بین ١٢,٠٠٠ درهم و ٦٠٠ درهم سنوياً .

وديوان الرسائل ویسمى أيضاً ديوان الإنشاء ومهمته تولى المكاتبات الصادرة وتلقى المكاتبات الواردة من الخليفة ویشبه وزارة الخارجية اليوم ، وكان



صاحب الرسائل من الموظفين الذين يختارون بعناية ودقة وله خطره في الدولة نظراً لطبيعة العمل العام الذي يقوم به، فهو الذي يشرف على مكاتبة السلوك والأمراء ، وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه أول من اتخذ بعض الكتاب ولكن ليكتب له الوحي ، ثم ليكتب له الرسائل التي كان يبعث بها النبي إلى الملوك يدعوهم فيها للإسلام ، فأرسل إلى هرقل إمبراطور الروم ، وإلى المقوقس عامله في مصر وعظيم القبط بها ، وإلى كسرى ملك فار وإلى باذان عامله على اليمن .

وكان أبو بكر يتخذ من عثمان كاتباً له يكتب له الرسائل إلى القادة والعمال بالأقاليم ، ثم ينظم هذا العمل كله بإنشاء ديوان الرسائل . وكان يشترط في كاتب الرسائل التعمق في العلم والأدب إلى جانب رصانة الأسلوب، وكان الخليفة يقوم أحياناً بهذه المهمة نظراً لدقتها وخطورتها أو يعهد بها إلى أحد أقاربه أو وزرائه الموثوق بهم.

ومن أشهر الكتاب في التاريخ الإسلامي يحيى بن خالد البرمكي ، والفضل بن الربيع ، والفضل بن سهل والحسن بن سهل، وأحمد بن يوسف، وأحمد المدبر ، ومحمد بن عبد الملك الزيات، ويلاحظ أن أغلبهم كانوا وزراء ذلك أن الخلفاء كانوا كثيراً ما يعهدون بعمل الكاتب إلى أحد وزرائهم المقربين. وكان على كاتب الرسائل إذاعة المراسيم وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخليفة بعد اعتماد الرسالة منه، وبعد أن يقرأها عليه للمرة الأخيرة فيوافق عليها الخليفة أو يحذف منها أو يضيف عليها كما يشاء .

### ديوان الخاتم :

استحدثه معاوية ليمنع التزييف في الرسائل وكان يحفظ فيه نسخة من كل رسالة بينما تختم الرسائل الأصلية وتبعث الي الجهات المقصودة وقد

استحدث هذا الديوان بعدما قام عمرو بن زيد بتزييف رسالة موجهة الي والي بغداد زياد بن أبيه من الخليفة يمنح عمرو مائة ألف درهم فغيرها الي مائتي ألف درهم وعندما ذهب الي الخليفة معاوية أنكر هذا الأمر ، فاعتقل عمرو لهذا التزوير إلي أن أعاد المبلغ.

وكانت مهمته مزدوجة الجانب فكانت تنسخ أوامر الخليفة وتحفظ صوراً منها للرجوع إليها عند الحاجة ثم تختم رسالته الخليفة إلى الجهات البعيدة وتخطيطها ثم تختم الخيط بالشمع وتطبع عليه خاتم الخليفة مرة ثانية تلافياً للعبث بالرسائل في أثناء الطريق. أما ختم الرسالة من الداخل بخاتم الخليفة فيرجع إلى عهد الرسول الكريم عندما أراد أن يبعث برسالة إلى هرقل إمبراطور الروم ، فقليل له أن الأعاجم لا يقبلون من الكتب إلا ما كان مختوماً ، فوافق النبي واتخذ لنفسه خاتماً منقوشاً عليه عبارة ( محمد رسول الله ) وختم به الرسالة، وكذلك تبعه أبو بكر وعمر وغيرهما من الخلفاء .

أما الديوان نفسه فقد أنشأه معاوية بن أبي سفيان بعد أن اتسعت الدولة وتعددت المراسلات بين العاصمة المركزية وبقية أجزاء الدولة، وكان يقوم بالعمل في الديوان عدد كبير من الموظفين .

ومن الدواوين الأخرى ديوان الصدقات أنشأ في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ومهمته توزيع موارد الزكاة ، ديوان المستغلات مهمته الاشراف على إيرادات الدولة وخاصة الغير منقولة كالأراضى والأبنية ، ديوان البريد ، وديوان النظر في المظالم ، وديوان الجهاد ويشرف على الأساطيل البحرية ويشبه وزارة البحرية اليوم، وديوان الأحياء ويشبه وزارة الأوقاف.

### الدواوين في العصر العباسي:

وقام العباسيون بتطوير نظام الدواوين الموجودة في العصر الأموي فاستحدثت دواوين لم تكن موجودة مثل

- ديوان الضياع : الذي يشرف على ممتلكات الخلفاء .  
- ديوان المصادرات : الذي يشرف على الممتلكات المصادرة أنشأه الخليفة أبو جعفر المنصور .

- ديوان الاحشام : للاشراف على شئون خدم قصر الخليفة .  
- ديوان الغلمان والموالي: أنشأ في عهد الخليفة المعتصم للاشراف على شراء الغلمان الأتراك وتحديد سعرهم.

- ديوان الزمام : في عهد الخليفة المهدي الذي يقوم بمراجعة حساب الدواوين فيما يتعلق بالواردات والنفقات وغيرها من الدواوين.

كانت الدواوين تكتب بلغات غير العربية فكانت تكتب في العراق وبلاد فارس بالفارسية وفي بلاد الشام باليونانية وفي مصر بالقبطية واليونانية وعندما تولي الخليفة عبد الملك بن مروان قام بتعريب الدواوين في بلاد الشام واتم الوليد بن عبد الملك تعريب دواوين مصر وهشام بن عبد الملك تعريب دواوين خراسان.

وكان تعريب الدواوين أثر كبير من الناحيتين السياسية والأدبية فقد ساعد ذلك على :

١- تقليص نفوذ أهل الذمة بعد ان انتقلت مناصبهم ووظائفهم الي المسلمين من العرب .

٢- أدى ذلك الي ظهور طبقة من الكتاب والمترجمين الذين قامت عليهم شئون الاعمال الكتابية وأعمال النقل من اللغات الاجنبية الي العربية.الواحدة ترسل مرتين مع حمامتين حتى اذا سقطت حمامة في يد العدو وصلت الثانية.

### ثالثاً : القضاء :

هو الفصل بين الناس في خصوماتهم حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتولي الفصل في المنازعات بين المسلمين وفي عهد ابو بكر تولي القضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعندما اتسعت الدولة عين القضاة وطلب منهم العمل بكتاب الله وسنة نبيه والقياس والاجتهاد والاجماع.

### مهمة القاضي :

- ١- الفصل في المنازعات .
- ٢- استيفاء الحقوق ممن ماطل بها وايصالها إلي مستحقيها .
- ٣- النظر في احوال المحجور عليهم باختلاف أصنافهم .
- ٤- امتدت سلطة القاضي الي الخطابة في المساجد والاشراف على الاماكن الدينية وولاية الحج وأخذ البيعة للخليفة ومصاحبة الجيش في الحروب .
- ٥- النظر في وصايا المسلمين وأوقافهم.
- ٦- النظر في سجلات الفتاوى الفقهية.

### شروط تولي منصب القاضي :

الذكورة البلوغ العقل الحرية الاسلام العلم العدالة سلامة السمع والبصر والخلق وقد عين بعض الذميين للفصل في امورهم الدينية.

تطور القضاء بنتيجة المذاهب الاربعة في الدولة العباسية فكان القاضي يصدر احكامه وفقا لاحد المذاهب لكن الخلفاء اخذوا يتدخلون في شئون القضاء كما ظهر منصب قاضي القضاة في بغداد يساعد عدد من الاقاليم والولايات.

كانت جلسات الحكم تتعقد في ايام محددة علنا وتتكون من القاضي والشهود والعدول والكتبة الذين يكتبون ما يدور في الجلسات والحجاب الذين يدخلون المتخاصمين وحيانا يقوم صاحب الشرطة وكان الخصوم يظهرون بمفردهم او بواسطة وكلاء لهم كان القضاء مستقلا ويعتمد على الكتاب والسنة لقوله تعالى ( فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق ) واستمر ذلك في العهد الراشدي وفي العهد الاموي.

تميز القضاء بميزتين هما :

- ١- أن القضاء يحكم باجتهاد فيما ليس فيه نص من كتاب ولا سنة اذ لم تكن المذاهب الاربعة معروفة والتي تقيد بها القضاء فيما بعد قد ظهرت.
- ٢- لم يكن القضاء متأثرا بالسياسة فقد كان القضاة مستقلين في احكامهم لا تاخذهم في الحق لومة لائم يتأثرون بميول الحاكمين وكان قضاؤهم نافذاً على الولاة وعمال الخراج.

### وتطور القضاء في العهد العباسي تطورا كبيرا ومن اهم مظاهر التطور:

- ظهرت المذاهب الاربعة فاصبح القاضي يحكم وفقا لاحد هذه المذاهب وضعفت روح الاجتهاد في الاحكام فكان القاضي المغربي يحكم بمذهب مالك وفي مصر بمذهب الشافعي وفي العراق بمذهب ابي حنيفة.
- تأثر القضاء بالسياسة فعمل الخلفاء على استمالة القضاء لسير وفق سياستهم في الحكم فامتنع بعض الفقهاء عن تولي القضاء خوفا من مخالفة

الشريعة فقد امتنع ابو حنيفة عن تولي القضاء في عهد أبو جعفر المنصور العباسي

- استحداث نظام قاضي القضاء يقيم في الحاضرة ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الاقاليم ويعتبر القاضي ابو يوسف صاحب ابي حنيفة اول من لقب قاضي القضاء فكان الخليفة هارون الرشيد يحترمه وهو الذى ميز العلماء بلباس خاص بهم وكان من قبله يلبسون مثل سائر الناس.
- اتساع سلطة القاضي فاضيف اليه استيفاء بعض الحقوق كالنظر في وصايا المسلمين وواقفهم وفي اموال اليتامى.

### ديوان المظالم :

يختص هذا الديوان بدراسة المظالم وازالة اسبابها وكانت هذه المظالم

- ١- ظلم الولاة والجباة والموظفين للناس .
- ٢- ظلم افراد الرعية او تسلط اصحاب الجاه على الفقراء .
- ٣-تظلم الجند اذا نقصت أرزاقهم .
- ٤- القضايا التي يعجز القاضي عن تنفيذ حكمه فيها.

ويشبه هذا الديوان محكمة الاستئناف حاليا ولذلك كان الخلفاء هم الذين يدرسون هذه الشكاوي وكان أول من خصص يوما لبحث هذه المظالم الخليفة عبد الملك بن مروان وبقيت الشكاوي ترفع الي الخلفاء الامويين رأساً. وفي العهد العباسي اعتنى الخليفة المهدي بالشكاوي واتخذ بيتا له شباك وكان يدخله وحدة ليزيل هذه المظالم بنفسه وكان قصر الخليفة عادة هو المكان الذى ينظر فيه المظالم.وكانت محكمة المظالم تتعقد برئاسة الخليفة أو من ينوبه كالوالي او قاضي المظالم وهو أعلى مرتبة من القاضي.

### رابعاً : الحسبة :

هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله فهي وظيفة دينية لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه اهلاً له فيتعين فرضه عليه بحكم الولاية وإن كان غيره من فروض الكفاية.

كانت الحسبة منصبا دينيا وكثيرا ما كانت تجمع الي القضاء ويقول ابن خلدون ان الحسبة خادمة لمنصب القضاء وكان القاضي في مصر والمغرب والاندلس يولي فيها باختياره من يقول عليها.

تضاربت اقوال المؤرخين في منشأ الحسبة فبعضهم يرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان أول محتسب اذ نهى عن الغش فقال من غشنا ليس منا ويروي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ولي سعيد بن سعيد بن العاص بعد فتح مكة وولي عمر ام الشفاء الانصارية على السوق وربما كان لأمر تتلحق بالنساء وكان عمر يطوف الاسواق والشوارع ودرته معه فمتى رأى غشاشا ضربه بها مهما كان شأنه ثم مارس الخلفاء الاحتساب بمراقبة التجار وأصحاب الحرف .

ويبدو أن الحسبة لم تظهر كمؤسسة إدارية لها نظامها إلا في عهد الخليفة المنصور العباسي حيث بدأ يعين المحتسب بقرار من الخليفة وكانت تجمع احيانا الي الشرطة او القضاء .

أعمال المحتسب : تشمل أعمال المحتسب النواحي الاخلاقية والدينية والعمرانية والأدبية:

- مراقبة التجارة وأصحاب المهن: كان المحتسب يراقب كل صاحب حرفه يتكسب بها مهما يكن نوع هذه المهنة سواء اكان طبيبا ام معلما او قصابا أو وكان للمحتسبين أساليب بارعة جدا في معرفة طرق الغش التي يلجأ اليها

أصحاب المتاجر والصناعات حتى انه كان يراقب الاطباء ويأخذ عليهم عهد ابقرات ويحلفهم على ألا يعطوا دواء مضرا ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الاجنحة ومنع الاحتكار في التجارة .

• مراقبة الاسعار والموازن يجبر المحتسب الباعة على وضع تسعيرة بعض المواد مثل اللحم والخبز .

• مراقبة الاخلاق العامة : كالمحافظة على آداب الطرقات ومنع مضايقة المارة ومنع شرب الخمر والشعوذة .

• مراقبة العبادات: كمراقبة المسلمين في صلواتهم ومنعم من الافطار في رمضان والعناية بنظافة الجامع وازالة الخمر والنهي عن المنكر .

• مراقبة الأبنية والدور : وذلك كهدم الابنية التي يبرز بها اصحابها الي الطرق العامة وهدم البيوت المتداعية ومنع فتح النوافذ في الابنية التي تشرف على الجيران وكنس مياه الامطار بسبب ما ينتج عنها من أحوال .  
كما يقوم المحتسب بالرفق بالضعفاء واجبار الحيوانات على عدم استعمالها فيما لا تطيق والمحافظة على اللقطاء ومنع الصبيان من ضرب الاطفال .

وهي بهذا تشبه وظيفة رئيس البلدية ورئيس الشرطة ومدير الشؤون الاجتماعية ومدير التموين .

مجلس المحتسب : كان للمحتسب دار خاصة به تسمى دار الحسبة يقيم فيها ويصرف منها جميع اعماله وكان له عدد من النواب يساعدونه في اعماله وكان يتقاضى راتبه من بيت المال .

العقوبات : كان المحتسب يامر باتلاف البضائع الفاسدة ويمنع التاجر الغشاش من العمل وعلان اسمه ليتجنبه الناس في مصر اذا كذب احد التجار او باع باكثر من الثمن يدفع بالتجار على جمل ويعطي جرسا بيده ويطاف به



في المدينة وهو يدق الجرس ويقول كذبت وها أنا اعاقب وكل من يكذب فجزاءه العقاب.

**شروط المحتسب :** من شروط تولي الحسبة أن يكون حرا عدلا ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة لذا كان لا يتولاها إلا رجل وجيه في دينه ودنياه وله أن يتخذ الاعوان الذين ينوبون عنه في المدن والامصار ويطوفون على أرباب الحرف والمعايش في الاسواق والطرقا يفتشون القدر واللحوم وأعمال الطهارة وما الي ذلك.

### **خامساً : الشرطة :**

هم الجند الذين يعتمد عليهم السلطان والخليفة او الوالي في حفظ الامن والضرب على ايدي المفسدين والمذنبين وسموا بذلك لانهم اشرطوا انفسهم بعلامات خاصة يعرفون بها .

لقد أسس عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظام العسس وفي عهد على رضي الله عنه نظمت وأصبح رئيسها يسمى صاحب الشرطة. وكان يختار من عملية القوم واهل العصبية أما في عهد الدولة الاموية فقد كان صاحبها يختار من عليه القوم واطلقوا عليه صاحب الاحداث في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وهو يشبه مدير الامن في وقتنا الحاضر.

كانت الشرطة من توابع القضاء في أول الامر فكان الغرض منها تنفيذ أحكام القضاء وفرض العقوبات الشديدة على المذنبين واقامة الحد على شرب الخمر ثم انفصلت وأصبحت مستقلة.

تنقسم الى قسمين:

**الشرطة الكبرى:** يتولاها رجالا من كبار رجال الدولة مهمتها الضرب على أيدي الزعماء.

الشرطة الصغرى: مهمتها النظر فيما يرتكبه العامة من جرائم .

### سادساً : الجيش :

الحرب في الاسلام حرب دفاعية وقد بين القرآن اكرام في مواضع عدة السبب الذى من اجله شرع القتال وأذن للمؤمنين في الحرب والجهاد وأرجعه الي أمرين :

الأول : الدفاع عن النفس عند التعدي .

الثاني: الدفاع عن الدعوة اذا وقف أحد في سبيلها بفتنة من أمن أو بصد من أراد الدخول في الاسلام عنه أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته.  
نظام الجندية :

لم يكن للعرب في جاهليتهم نظام خاص للجند لبدأوتهم وكان كل رجل يقدر على حمل السلاح يخرج للقتال اذا ما دعا الداعي دفاعا عن عشيرته وقبيلته ثم اذا ما انتهى القتال عادوا الي اماكنهم وشئونهم .  
ولما جاء الاسلام وأذن للمسلمين في القتال والجهاد في سبيل الله كان كل مسلم جنديا وله من حبه لدينه ما يدفعه الي المبادرة الي الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .

ولما ولي عمر الخلافة عني بامر الجند وانشأ لهم ديوانا خاصا للاشراف على شئونهم ومختلف امورهم وحينما اتسعت الفتوح الاسلامية وكثرت الغنائم واقبلت الدنيا على المسلمين خشى عمر ان يخلد بعضهم الي الراحة والتقاعد عن الحرب وان ينصرف الي الثروة فتقدم اليهم بالانصراف الي الجهاد ورتب لهم ولأسرهم الأرزاق وكان من يتأخر منهم عن الجهاد بغير عذر يعير ويلام وما يردعه والي عمر أيضاً يرجع الفضل في اقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجنود في اثناء سيرهم الي عدوهم بعد.

### التجنيد الاجباري:

اتم الامويون ما بدأه عمر من العناية بالجيش فنظموا ديوان الجند وعنوا بالجيش ولما استقر لهم الامر نهائيا تقاعد المسلمون عن الحرب وانصرفوا عن الجهاد ففرض عبد الملك بن مروان نظام التجنيد الاجباري .

### عناصر الجيش:

كان الجيش في بادئ الامر يتكون من العنصر العربي وظل هكذا من ايام النبي صلى الله عليه وسلم الي ان توسع الامويون في فتوحاتهم وضموا شمال افريقيا وبلاد الاندلس فاستعانوا بالعرب في الجيش.

وفي عهد العباسيين دخل العنصر الفارسي في الجيش العربي ولما ولي المعتصم الخلافة سنة ٢١٨هـ استكثر من الأتراك (لأن امه تركية) فولاهم حراسة قصرة واسند اليهم اعلى المناصب وأثرهم على الفرس والعرب.

### أثر المرأة في الجيش:

١- كان للمرأة في الجيش اثر فعال فقد كانت تقوم بسقى الجند وتضميد الجرجي وتذمير الجيش وتحمسه للقتال وكثيرا ما كانت تقاتل اذا حمى الوطيس وكان لوجودها في الجيش اثره في تحميس الرجال فانهم كانوا اذا رأو النساء استحيوا من الفرار .

٢- قاتل النساء في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وان التاريخ الاسلامي يفتخر بكثير من نساء المسلمين مثل نسبية بنت كعب المازنية التي دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد وفي غزوة الخندق قتلت صفية بنت عبد المطلب اليهودي الذي كان يطيف بالحصن حتى لا يدل على عورة للمسلمين بل ركن البحر وغزون فيه فهذه ام حرام

بنت ملحان تصحب زوجها عبادة ابن الصامت مع بنت قرظة امرأة معاوية بن ابي سفيان في اول غزوة بحرية يقوم بها المسلمون.

### أسلحة الجيش :

كانت الدولة تتعهد بامداد الجند بكل ما يحتاجون اليه من سلاح ومؤمن وكان الجيش يتألف من الفرسان والرجالة وكانت اسلحة الفرسان هي الدروع والسيوف والرماح وهي السلاح الرئيسي للفرسان واسلحة الرجالة هي الدروع والحرب والقسي والسهام والسيوف .

وكان الرماه اهم عناصر الرجالة في الجيش لما سار الرسول صلى الله عليه وسلم إلي الطائف لمطاردة فلول ثقيف واعتصمت منه بالحصون ورمت المسلمين بالنبل نصب النبي صلى الله عليه وسلم المنجيق ورماهم به فكان صلى وسلم اول من رمي بالمنجيق في الاسلام كما استعان على حربهم بالدبابات .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بتعرف اخبار عدو واستطلاع احواله فكان يزكي العيون لياتوه بخبره ويعلموه بامرهم ومن ذلك انه ارسل عبد الله بن جحش في اثني عشر مهاجر الي نخله بين مكة والطائف ليرصد بها قريشا ويعلم من اخبارهم كما ارسل الي بدر رجلان يستقيان ويتتطسان الأخبار وفي احد بعث انسا ومؤنسا ابني فضالة يلتمسان خبر قريش وهكذا كان صلوات الله عليه يهتم بأخبار عدوه لياخذ حذره وليعد للامر عدته.

وكذلك سار خلفاؤه من بعده فترى عمر رضى الله عنه يقول في وصاته لسعد بن ابي وقاص العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك امرهم وفي عهد العباسيين كانوا يستخدمون الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون الي البلاد

المجاورة متكرين في زي التجار او الاطباء ويتنطسون الاخبار ثم يعودون بها الي الدولة لتحتاط للامر عرف المسلمون حرب الاعصاب واستغلوها في توهين العدو واضعاف عزمته للقتال ومن ذلك أن المسلمين حينما حاصروا قنسرين تحصن اهلها منهم فارسل اليهم خالد بن الوليد يقول لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم او لانزلكم اليها فالتقوا السلم وفتحوا مدينتهم للمسلمين.

### البحرية في الاسلام :

لم يكن العرب قبل الاسلام يعنون بالحروب البحرية لبدائيتهم وعدم تعودهم ركوب البحر وكان اول من ركب البحر في عهد عمر بن الخطاب العلاء بن الحضرمي والي البحرين الذي توجه لغزو بلاد فارس في اثني عشر الفا من المسلمين من غير اذن الخليفة ثم عاد المسلمون الي البصرة محملين بالغنائم بعد ان فقدوا سفنهم فاما علم عمر بذلك وكان يكره ركوب البحر غضب على العلاء وعزله.

ولما فتحت بلاد الشام شاهد العرب سفن الروم والح معاوية بن ابي سفيان على عمر بن الخطاب ان ياذن له يغزو بلاد الروم بحرا لقربها منه وقد علل ابن خلدون سبب امتناع العرب في اول عهدهم عن ركوب البحر فقال : والسبب في ذلك ان العرب لبدائيتهم لم يكونوا أول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لممارستهم احواله مرنوا عليه فاحكموا الدراية ثقافته ولما ولي عثمان الخلافة اعاد عليه معاوية الكرة في غزو الروم بحرا فاذن له على الا يحمل احدا على ركوب البحر كرها بل يجعل الامر اختياريا ونجح معاوية في غرضه فتنشجع المسلمون واقدموا على ركوب البحر .

وكان لهذه القوة البحرية اكبر الاثر في اتساع الدولة الاسلامية اشتبك وَاِلي مصر من قبل عثمان وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح مع قسطنطين

بن هرقل امبراطور الدولة الرومانية الشرقية في البحر الابيض المتوسط وانتصر عليه في موقعه ذات الصواري وذلك سنة ٣٤ هـ وقد احتفظت البحرية الاسلامية بعظمتها طوال العصر الاموي وفي الصدر الاول من العصر العباسي حتى بدأ الضعف يدب في جسم الدول الاسلامية في الشرق والمغرب فاخذت القوة البحرية في الضعف.

**ويرجع الفضل في انشاء الاسطول الاسلامي الى معاوية بن ابي سفيان الذي اتخذ عدة خطوات ايجابية وهي:**

- ١- تحصين السواحل وترتيب المقاتلة فيها واقامة الاربطة والمناظر على طول سواحل مصر والشام وشحنها بالمقاتلة لمراقبة النواحي التي يقبل منها الاسطول البيزنطي .
- ٢- شجع انتقال المسلمين الي المناطق الساحلية ومنحهم الاقطاعات الواسعة بقصد تعمير هذه البلاد وزيادة عدد سكانها.
- ٣- اعتمد على القبائل اليمنية في الشؤون البحرية في الشام لما عرف عنها من خبرة .
- ٤- تنشيط دار صناعة الاسطول في عكا وصور والاسكندرية وقد زاد عدد دور الصناعة في مصر في فاقامت دور للصناعة في دمياط والروضة واستعين بالخبراء من قبط مصر وبعض الملاحين من اهلها .
- ٥- في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان اقيمت دار لصناعة الاسطول في تونس على يد حسان بن النعمان يرجع اليه الفضل في انشاء اول بحرية اسلامية في المغرب.

وقد نجحت هذه السياسة البحرية في السيطرة على جزر البحر المتوسط لمواجهة سواحل الشام ومصر وتنوعت قطع الاسطول الاسلامي فظهرت منها أنواع متعددة واهم هذه السفن ما يلي:

١- **الشواني** : كانت اهم قطع الاسطول والشيني مركب كبير طويل يمتاز بانه يجدف بمائه وأربعين مجدافا ويحمل المقاتلة والجذافيين وكان مزودا بابراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم .

٢- **الحراريق**: وهي مراكب حربية يعبر اسمها عن وظيفتها في احراق سفن العدو بالنفط.

٣- **الطرائد** : وهي سفن مخصصة لحمل الخيل وكانت تفتح عادة من الخلف حتى يتيسر للخيل ان تصعد الى ظهرها او تنزل منها الي اليابسة كذلك كانت تستخدم لحمل المقاتلة والمؤن والسلاح .

٤- **الشلنديات** : سفن كبيرة الحجم تستخدم لنقل المؤن والسلع ويتميز بانه مركب مسطح من اعلى ليتمكن الغزاه والمقاتلة من محاربة اعدائهم من ظهرها .

٥- **البطس**: وهي مراكب كبيرة الحجم تتكون من عدة طوابق وتزود بعدد كبير من القلاع وكانت تستخدم لنقل الازواد والميرة كما كانت تستخدم في نقل جموع كبيرة من المحاربين .

### **البحرية فى مصر :**

اشتهرت مصر فى العصر الاسلامى بصناعة المراكب النيلية التى كانت تسير فى النيل تحمل حاصلات البلاد بين الوجهين القبلى والبحرى ايضا بصناعة السفن التى تالف منها الاسطول المصري وقد اشتهر احمد بن

طولون مؤسس الدولة الطولونية بانشاء المراكب الحربية وجعل لها حول جزيرة الروضة احواضا كانت تعرف باسم صناعة الجزيرة وظلت صناعة السفن بجزيرة الروضة حتى نقلها محمد ابن طغج الاخشيد مؤسس الدولة الاخشيدي الى فسطاط مصر في المصنع المعروف باسم صناعة السفن.

فأنشأ المعز لدين الله الفاطمي ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين المراكب الحربية في مدينة مصر والاسكندرية ودمياط وقد انشأ المعز دارا لصناعة السفن بالمقس بني فيها ستمائه مركب انه كان على رأس الاسطول المصري في ذلك العصر عشرة قواد عليهم رئيس هو قائد القواد وكان يسمى في عهد الفاطميين امير الجيش .

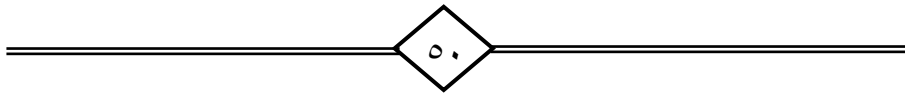
وفي عهد المماليك ناظر الجيش وكان هؤلاء يتناولون مرتبات تبلغ عشرين دينارا في الشهر ولما زالت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ وانتقلت السلطة الى صلاح الدين اهتم بامر الاسطول فخصص له ديوانا كبيرا عرف باسم ديوان الاسطول وافر له ميزانية خاصة وعهد بهذا الديوان الي اخيه العادل .

عمل الظاهر بيبرس على اعداد قوة بحرية يستعين بها في صد أعدائه الذين يغيرون على الملك بلاده من جهة البحر فاهتم باعادة شأن الاسطول الي ما كان عليه في عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب ومنع الناس من أن يتصرفوا في الاحشاب التي تبني منها السفن كما امر بانشاء الشواني في ثغري الاسكندرية ودمياط .

وقد نسج على منوال بيبرس في عنايته بالأسطول الأشرف خليل بن قلاوون فأنشأ أسطولاً مكوناً من ستين مركبا جهزها بالآلات الحربية والرجال ثم سار إلي دار الصناعة بجزيرة الروضة لاستعراض الأسطول وإقام لذلك احتفالاً



كبيراً أقبل عليه الناس من كل حدب وصوب قبل الاحتفال بثلاثة وبنوا لهم  
اماكن من الخشب وقد ازدحمت الطرقات والميادين بالأهالي الذين خرجوا من  
دورهم لمشاهدة الاحتفال وتباري الجند وأظهروا كثيراً من ضروب المهارة ثم عاد  
السلطان في عسكره الي القلعة وأقام الناس بقية يومهم وليلتهم في لهو ومرح.



## صلاح الدين والصليبيون وانتصاره في معركة حطين

قسم المؤرخون فترة الجهاد ضد الصليبيين إلى دورين :

**الدور الأول :** هو الدور الدفاعي من (١١٧٤-١١٨٦م) / ٥٧٠-٥٨٢هـ) وهو الدور الدفاعي لصلاح الدين كان يغلب عليه الطابع الدفاعي وذلك لإنشغال صلاح الدين بتوحيد الجبهة الإسلامية والدفاع عن الأراضي الإسلامية.

**الدور الثاني :** وهو الدور الهجومي من (١١٨٦-١١٩٢م) / ٥٨٢-٥٨٨م) وفيه تفرغ صلاح الدين للجهاد وحقق أكبر الانتصارات والانجازات ضد الصليبيين.

### أرناط وإستفزازاته للمسلمين:

أحوال الصليبيين بدأت تزداد سوءاً خاصة بعض مرض بلدوين الرابع وعجزه عن الحكم وتولى جاي لوزجنان الوصاية على العرش وتصريف أمور الحكم بعد زواجه من أخت الملك سيبل وكان شخصيته ضعيفة مما أدى إلى ظهور شخصية كانت لها دور كبير في ازدياد وضع الصليبيين سوءاً وهو أرناط.

**من هو أرناط؟**

كان أرناط (رينودي شاتيون) وقد جاء إلى بلاد الشام مع الحملة الصليبية الثانية وقد تزوج من كونستانس أرملة أمير انطاكية ودخل في نزاعات مع الدولة البيزنطية واضطربت سياسته وعدم تمسكه بحد أدنى من الأخلاق حيث قام بحملات ضد أملاك الدولة البيزنطية حتى أنه قام بحملة على قبرص وخربها ونهبها ونكل بأهلها مما أثار الدولة البيزنطية ثم ما لبث

أعلن اعتذاره عندما جاء الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين لعقوبته في أنطاكية ثم ما لبث أن أسر في إحدى حملاته للسلب والنهب على المدن الإسلامية على يد أمير حلب وظل أسير في حلب (١١٦٥-١١٧٦) أي حوالي إحدى عشرة سنة.

ومن المثير أنه في أشد الأوقات حرجاً ظهر أرناط مرة أخرى عندما أطلق سراحه ٥٧٣هـ / ١١٧٧ م تزوج من إتينت دي ميلي وريثة صاحب الأردن فأصبح يتحكم في حصن الشوبك والكرك وهذا يمهد بسلوكه المعروف عنه لسرعة الصدام مع صلاح الدين وكان كارثة بالنسبة للصليبيين إذ أنه لن يسمح صلاح الدين لمثل أرناط باتباع سياسته دون رد فعل قوي.

اختار أرناط وقتاً كان الصليبيون يعانون من المشاكل واضطراب الحكم وقام بغزوة وصل فيها إلى تيماء وهي واحة تقع في منتصف الطريق بين الأردن والمدينة المنورة وكان ينوي بذلك الزحف على المدينة المنورة فتصدى له فرخ شاه ابن أخي صلاح الدين ونائبه في دمشق بأن أسرع إلى غزو الأردن مما عجل بعودة أرناط للدفاع عن أراضيه خاصة بعد أن نهب قافلة إسلامية في عودته كانت متجهة من دمشق إلى مكة.

تلك الغارة أفزعت المسلمين لأنهم إن كانوا قد صبروا على تهديد الصليبيين لبعض البلدان الإسلامية فإنهم لن يصبروا على تهديد قبلتهم مما أغضب صلاح الدين وأرسل يلوم الملك بلدوين الرابع ويذكره بالهدنة ويطلب من أرناط والمسلوبات وأرسل بلدوين بدوره وكان مستاءً أيضاً من مسلك أرناط - إلى أرناط يطلب منه ذلك ولكن استهزأ بطلب الملك ورفض ذلك.

### أرناط ومحاولة مهاجمة الحرمين الشريفين :

كانت النكبة الكبرى بالنسبة للصليبيين هو شروع أرناط لغزو الحرمين الشريفين إذ لم يكتفي بهجومه وغاراته وكماثته قوافل الحجاج المسلمين وذلك بأن بنى عدد من السفن الصغيرة وهاجم ميناء أيلة واستولى عليه من أيدي حاميته المسلمة ثم بدأت الإبحار تعترض سفن التجارة وتعتدي على الموانئ المطلة على البحر الأحمر مما آثر رعب الأهالي ودهشته لرؤيتهم سفن صليبية لأول مرة في ذلك البحر ومن الأخطر إن غارتهم وصلت إلى ميناء عيذاب ، الموجهة لجدة وبل والأمر ذلك أن الصليبيون ونقلوا نشاطهم إلى شاطئ الحجاز ووصلوا إلى قرب المدينة المنورة حتى أشار المؤرخون أنهم أصبحوا على مسار يوم واحد من المدينة المنورة مما آثر دهشة العالم الإسلامي.

أمر العادل نائب صلاح الدين في مصر بتجهيز أسطول تحت قيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ والذي بدأ في مسابقة ومطاردة السفن الصليبية والاستيلاء عليها وتدميرها في البحر الأحمر وأسر من فيها وكان موسم الحج قد وصل وأرسل حسام الدين أسيرين من الصليبيين فنحروا في منى وعاد ببقية الأسرى والذي أمر صلاح الدين بقتلهم لجرائمهم بعد استعراض في شوارع القاهرة والإسكندرية أما بالنسبة لأرناط فإن صلاح الدين أقسم ألا يغفر له فقتله ونذر دمه.

وقد حاول صلاح الدين أكثر من مرة الاستيلاء على حصن الكرك للقضاء على الخطر الذي يتمثل في تهديد طرق القوافل من الشام إلى مصر والحجاز ولكن لحصانة الحصن لم يوفق في ذلك آنذاك.

توفي بلدوين الرابع ببيت المقدس في مارس ١١٨٥م - وولي قبل وفاته بلدوين الخامس ملكاً على بيت المقدس ابن سبيل من زوجها الأول وليم دي مونتقرات - ووصاية ريموند الثالث أمير طرابلس عليه ولكنه ما لبث أن توفي أيضاً في أغسطس سنة ١١٨٦ م وانتهى الأمر بعد خطوب بتولية جاي لوزيجنان ملكاً على بيت المقدس.

### معركة حطين (٥٨٣-١١٨٧م):

كان مشروع مهاجمة أرناط للحرمين الشريفين وفي الوقت نفسه غاراته وكمائنه للقوافل الإسلامية وقطع طريق الحجاج عن حجة وقتل العديد منهم جعلت صلاح الدين يعجل بمشروعه في مواجهة الصليبيين مواجهة حاسمة خاصة وأن أوضاع بيت المقدس غير مستمرة وزاد من موقف صلاح الدين قوة توحيد الجبهة الإسلامية ولذلك أرسل إلى سائر الجهات في مصر والشام والجزيرة يستنفر المسلمين إلى الجهاد ويطلب الاستعداد وجمع قواته وخرج من دمشق في أواخر المحرم سنة (٥٨٣ هـ/إبريل ١١٨٧م) ليمنع تعرض أرناط للقوات المصرية القادمة ولذلك توجه إلى الكرك والشوبك وعاث في أنحائهما ودمر ما حولهما حتى وصلت إلى القوات الإسلامية بقيادة العادل ولم ينجح في الاستيلاء على قلعة الكرك ، فراجع صلاح الدين بعد أن دمر ما حولها خاصة وأن استحکامات الكرك كانت قوية.

وكان حال الصليبيين آنذاك يسير من سىء إلى أسوأ فلم يكن هناك تعاون بين أميري أنطاكية وطرابلس وجاي لوزجنان ملك بيت المقدس فقط بل تعدى الأمر إلى الصدام بين جاي وريموند وذلك عندما رفض ريموند الاعتراف بجاي لوزجنان ملكاً رجع وتحصنت في طبرية مما دفع جاء لوزجنان للاتفاق

مع الداوية على محاصرة طبرية وانتزاعها من ريموند لجأ ريموند إلى صلاح الدين والذي لبي نداءه وأرسل إليه فرقة لمعاونته ثم جاء الدور على ريموند عندما أرسل صلاح الدين فرقة عسكرية للإغارة على إقليم عكا فكان لابد لها من المرور بأراضي ريموند الثالث والذي بحكم تحالفه مع صلاح الدين اضطر على السماح لهم بالمرور بأراضيه مع اتخاذ الاحتياطات الواجبة ثم توجهت الفرقة الإسلامية وواجهت القوات صليبية قرب صفورية ودارت معركة رهبة سقط فيها معظم الصليبيين بين قتلى وأسرى ولم ينج سوى عدد لا يتجاوز أصابع اليد.

كانت هذه المعركة إيذاناً بالصدام الأكبر حيث بدأ يتجمع الصليبيون بقيادة جاي لوز جنان وأسرع ريموند في الدخول في طاعة الملك الصليبي وكان احتشادهم في صفورية قرب عكا ومعهم صليب الصليبوت وعندما علم صلاح الدين زحف بجيوشه على طبرية خاصة بعض نقض ريموند للتحالف واستولى على المدينة وتحصنت زوجة ريموند داخل قلعة المدينة.

والجدير بالذكر أن مهاجمة صلاح الدين لطبرية كان يهدف إلى دفع الصليبيين إلى ترك مراكزهم عند صفورية الزحف إليه في طبرية حتى يصلوا مجهدي متعبين في حين يحتفظ لجيشه بالراحة والجهد فما هو موقف الصليبيين من هجوم صلاح الدين على طبرية فعدوا مجلساً وكان هناك خطتين:

**الأول :** الزحف من صفورية على قوات صلاح الدين في طبرية وكان على رأسهم أرناط المنادين بذلك.

**أما الثاني :** فهو أن ينتظر حتى يأتي صلاح الدين أو ينصرف لأن الرأي يشوبه الخطر حيث صعوبة الطريق والحر والماء وكان على رأسهم ريموند صاحب طبرية المحاصرة زوجته بما ووضح أنه أرسل إلى صلاح الدين سيأتي مجهداً مستقيماً إلى صفورية ويسهل الانتصار عليه.

أي أنه لا يرغب في الصدام مع صلاح الدين الأيوبي لإدراكه لقوته وفشلهم في التصدي إليه.

وكيفما كان الأمر فقد ثار أرنات ضد رأي ريموند وقال له كما أشار ابن الأثير : "فقال له برنس أرنات صاحب الكرك : لقد أطلت في التخويف من المسلمين ولاشك أنك تريدكم وتميل إليهم وغلا ما كنت تقول هذا وما قولك منهم كثيرون فإن النار لا يضرها كثرة الحطب فقال أنا واحد منكم إن تقدمتم تقدمت وإن تأخرتم تأخرت وسترون ما يكون من فدي عزمهم على التقدم إلى المسلمين وقتالهم فرحلوا من معسكرهم الذي لزموه وخربوا من عساكر الإسلامي.

ويتضح من ذلك أن ريموند اضطر أمام اتهام أرنات بالميل إلى المسلمين بالموافقة على خطته بالزحف على المسلمين وتحرك الصليبيون وهم يعانون من شدة الحر ومن صعوبة الطريق ومن صعوبة الطريق ومن غارات المسلمين عليهم في نفس الوقت صلاح الدين وجيشه ينعمون بالراحة وادخار الجهد والماء الوفير وتحرك صلاح الدين بقتالهم في طبرية إلى قرون حطين وجعل قواته في السهل لحطين وأمام جبل حطين على مسافة ٣٠٠ متر من سطح البحر وخلفة بحيرة طبرية ووصل الصليبيون منهكون يعانون من العطش والحر ووجدوا أمامهم صلاح الدين وجيشه يسد عليهم سبيل الماء ولذلك تشاور



قواد الصليبيون مع الملك جاي لوزجان في ضرورة اللجوء إلى الهضبة بعيداً عن خطر المسلمين وهنا تم لصالح الدين ما أراد.

أحضر الملك جاي لوزجان ومعه أرناط وباقي القواد الصليبية ما عدا ريموند الثالث أمير طرابلس والذي فر من المعركة وعدم تعرض المسلمين له وكان متخوفاً فاستقبله صلاح الدين استقبالاً حسناً وأجلس الملك إلى جانبه وأمره بإعطائه الماء المثلج لكي يشرب فشرب وأعطى أرناط وهنا أغضب صلاح الدين وقال أن هذا الملعون شرب الماء بدون إذنني فلن ينال أمانى وهنا جلس صلاح الدين يؤنبه ويذكر بأفعاله ثم أمسك صلاح الدين بسيفه وأطاح برأسه وطمأن جاي لوزجان بعد رأي جزعه بأنه لم تجري العادة بقتل الملوك ولم يقتل من الأسرى إلا فرسان الدواية والاستتارية أما باقي الأسرى قد بيعوا في أسواق الرقيق وحتى بلغ الأسرى قد بيعوا في أسواق الرقيق و كانت معركة حطين نكبة لا مثيل لها بالنسبة للصليبيين في الممالك الصليبية فقد هزم جيشهم ولم يترك من الرجال المقاتلين غير أولئك المنتشرين فوق الأرض من الحاميات وفي المدن والقلاع وبدأ صلاح الدين بتطهير البلاد من بقاياهم بشكل منهجي وفي أوقات الفراغ وفي هذه العملية أسر العديد من الصليبيين إلى درجة أنهم أصبحوا فيضاً في أسواق النخاسة في العالم الإسلامي وكانت قيمتهم التجارية تهبط إلى مستوى منخفض حتى أن رجلاً قايض رقيقاً منهم لقاء زوج من الأحذية.



## الفصل الخامس

### الحياة الاجتماعية في الإسلام

أولاً : عناصر المجتمع الاسلامى :

١ - العرب .

٢ - الموالى .

٣ - أهل الذمة .

٤ - المرأة .

ثانياً : طبقات المجتمع الإسلامى .

## أولاً : عناصر السكان في المجتمع الاسلامي :

### ١- العنصر العربي :

عاش العرب قبل الاسلام على شكل قبائل في الجزيرة العربية هاجرت مجموعات منهم الي حدود الجزيرة الشمالية على اطراف العراق وبلاد الشام فاما قبائل جزيرة العرب فقد احتفظ بعضها بطابعها البدوي في حين غلب التحضر على القبائل التي استقرت في المدن واما عرب العراق وبلاد الشام الذين ينتمون في معظم الي اصول يمنية فقد كونوا بمساعدة الفرس والروم دولتين عربيتين احدهما في الحيرة والاخرى في جنوب بلاد الشام وهي امارة الغساسنة .

وعندما خرجت الجيوش العربية من شبه الجزيرة لفتح كثير من البلاد كانت هذه الجيوش تمثل عناصر من معظم القبائل العربية ولما تم النصر للمسلمين ودانت لهم الامصار بدأت مرحلة الاستقرار في حياة العرب ولقد شكلت القبائل العربية الركيزة الاولى للمجتمع في بلاد الشام في عصر الدولة الاموية لانها كانت تشكل العنصر الحاكم في البلاد.

وقد انحاز الخلفاء الامويون للعرب حيث اعتبروهم مادة الاسلام ولذلك ساد العنصر العربي زمن الدولة الاموية حيث نجد الخلفاء الامويين قد اوكلوا للعرب شئون السياسة والحكم بل نجدهم قد اوكلوا امارة الاجناد الي ابنائهم ولقد انتشر الولاة من العرب الشاميين في كثير من الاقاليم الاخرى كمصر وافريقية حيث عين مروان بن الحكم ابنه عبد العزيز على مصر كما ولي الوليد بن عبد الملك على مصر كاتبة قرّة بن شريك القيسى والذي يعتبر من أقدر ولاة مصر .

وإذا كان الخلفاء قد انحازوا للعنصر العربي فانهم في نفس الوقت نجدهم اعدوا العصبية القبلية مرة اخرى فقد كان العرب في بلاد الشام ينقسمون الي يمنية ومضرية وقد ادى انحياز الخلفاء لاحد الفريقين دون الاخر الي قيام العداء بينهما .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ارتفع نجم الفرس نتيجة استيلاء البرامكة على تقاليد الامور وعظم نفوذهم مما دفع العنصر العربي بزعامه الفضل بن الربيع الي التصدي لهذا النفوذ وتعريف الخليفة الرشيد بخطورة هذه الاوضاع وقد تنبه الرشيد الي ذلك ووقع بالبرامكة كما استطاع العنصر العربي بفضل جهود السيدة زبيدة العربية زوجة الرشيد في اختيار محمد الامين ليكون وليا للعهد من ابيه الرشيد غير ان الخليفة العباسي المعتصم لم يعتد بالعرب ولا الفرس ولا يثق بهم .

## ٢- الموالى :

هم المسلمون من غير العرب وكانوا في الاصل من الاسرى ثم اسلموا فاعتقوا واصبحوا موالى .

وكان الموالى يتمتعون بنفس الحقوق المدينة التي يتمتع بها الاحرار المسلمين فكان لهم الحربة في اختيار حرفهم واعمالهم وصناعاتهم التي يرغبون بها وقد برع العديد منهم بل ان بعضهم برع في الاعمال الادارية فكان منهم الكتاب والفقهاء وبالاضافة الي هذه الاعمال فقد شارك الموالى في الحياة السياسية في بلاد الشام كما شكل الموالى مجموعة من الجيش الذى حارب مع مروان بن الحكم .

كذلك اعتمد خلفاء بنى مروان على الموالي في ادارة بعض الولايات وخاصة الولايات الافريقية فقد عين سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد مولي قريش من الشام واليا على افريقية.

وشارك الموالي في الحياة الاقتصادية كالزراعة مثلا بالاضافة الي ملكيتهم للاراضي وقام الموالي بالاعمال التجارية ايضا وكان التجار من الموالي يرافقون الجيوش في غزواتها او في مرابطتها في الثغور وفي الحقيقة ان ما قيل عن احتقار وازدراء الامويين للموالي ومعاملتهم معاملة ليست كريمة انما هو مجرد تحامل على الدولة الاموية .

### ٣- أهل الذمة :

أهل الذمة والمراد بهم النصارى واليهود والصائبة فشملمهم الاسلام بعهد وأمانة وشملموا بهذا الاسم لانهم دفعوا الجزية فامنوا على ارواحهم واعراضهم وأموالهم وصاروا امانة في ذمة المسلمين فقد كان المسلمون يدعون أهل الذمة إلي الاسلام أولا فمن استجاب منهم طبقت عليه احكام المسلمين ومن امتنع فرضت عليه الجزية وكانت الجزية في مقابل المنعة وتعهد المسلمين بالمحافظة على أرواح السكان واموالهم ودياناتهم واعفاءهم من الخدمة العسكرية ولم تكن نوعا من العقوبة والجزاء فرضت على الذكور البالغين من أهل الذمة ولم تفرض على النساء والاطفال والشيخوخ اما فيما يتعلق بأهل الذمة في بلاد الشام فنجدهم قد تمتعوا بالحرية الدينية فقد تركهم المسلمون احرارا في عقائدهم على ان يؤدوا الجزية وابقوا الارض في ايديهم يزرعونها ويؤدون خراجها .

ومما دل على تسامح المسلمين مع أهل الذمة انهم لم يتعرضوا للاديرة التي كانت منتشرة في بلاد الشام بل سمحوا ببناء الدور والحجر الي جانبها

وانها كانت تستخدم في بعض الاحيان لمبيت الزوار وعابري السبيل كما كانت تستخدم لضيافة الامراء وحاشيتهم وكان يسمح للذمي ان يوصى للكنيسة او يوقف لها وقفا من ماله ومن كان عهدا او ذمة فديته دية المسلم .

كما كانوا على صلة بالمسلمين في حياتهم اليومية ولم يعيشوا منعزلين عنهم كما كان لاهل الذمة الحرية التامة في ممارسة الاعمال في دار الاسلام ومباشرة النشاط الاقتصادي فهم كالمسلمين في المعاملات والتجارات وسائر العقود والبيوع وسائر التصرفات الا التعامل بالربا والاتجار بالخمير والخنزير في امصار المسلمين وشاركوا المسلمين في الحياة الاقتصادية بالاضافة الي مساهمتهم في الحياة الاجتماعية نجد ان عدد كبيرا من اهل الذمة اشتغل بفلاحة الارض في مقابل دفع الخراج عنها اما بالنسبة للتجارة فقد كان لهم الحرية في ممارستها غير انهم منعوا من التعامل بالربا والاتجار بالخمير والخنزير في امصار المسلمين معظم من مارس الحرف كانوا من اهل الذمة والموالي .

وكان الطب من المهن التي برع فيها اهل الذمة ولذلك اتخذ الخلفاء منهم اطباء خاصين بهم ومن اشهرهم ابو الحكم النصراني والطبيب اليهودي ماسرجوية وكان لتسامح وحسن معاملة الخلفاء لاهل الذمة دور كبير في دخول هؤلاء الي الاسلام وهذا ما حدث مع الطبيب عبد الملك بن ابجر الكناني الذي اسلم على يد عمر بن عبد العزيز .

### ثانياً : تأثير اهل الذمة في المجتمع :

في العصر العباسي تمتع اهل الذمة بكامل حريتهم في ممارسة شعائهم وطقوسهم وكان رئيس النصارى في بغداد ويدعي الجاثليق وهو

المسئول امام الخليفة عن شئون رعاياه من النصارى واليهود كان لهم رئيس وهو المسئول عن رعاياه من اليهود وقد سمح بعض الخلفاء العباسيين لاهل الذمة بتشيد الكنائس والبيع.

وقد ساهم اهل الذمة في بغداد وغيرها من المدن الاسلامية في تنشيط الحركة العلمية وبخاصة في مجال الترجمة ومن ابرز هؤلاء المترجمين حنين بن اسحاق الذي كان يجيب اللغتين اليونانية والفارسي.

وكذلك شارك اهل الذمة بجهودهم في مجال الطب وبرع منهم العديد الذين عملوا في بلاد الخلفاء ومن ابرز هؤلاء الاطباء جورجيس بن بخيشوع طبيب المنصور كذلك اشتهر جبريل بن بختشيوخ الذي دخل في خدمة الرشيد وولديه الامين والمأمون كما اشتغل بعض اهل الذمة في دواوين الدولة العباسية.

#### ٤- المرأة في المجتمع الاسلامي :

الأسرة هي الخلية الاولى في المجتمع والمرأة ركن اساسي في الاسرة وقد عاشت المرأة في ظروف قهرية قبل الاسلام ام في المجتمعات الاخرى فلم تكن تتمتع بنظرة الاحترام فقد اشار القران الكريم الي تلك النظرة المتشائمة التي كان ينظر بها بعض العرب حين يرزق بمولوده انثى كما أن بعضهم لجأ إلي واد البنات خشية العار والفقر .

فلما جاء الاسلام بمبادئه السمحة وأنصف المرأة واعطاها حقها وجعل منها عنصرا هاما مشاركا الرجل في بناء الاسرة المسلمة .وقد قرر الاسلام صراحة حق الانثى في الميراث بعد ان كانت تحرم منه في العصر الجاهلي.



وأما فيما يتعلق بالزواج وهو جعل الاسلام للبنات الحق في قبول الزواج أو رفضه لذلك لم يكن من حق ولي البنت ان يرغمها على الزواج من شخص معين كذلك صار من حق الفتاة الصداق دون تدخل ولي الامر .  
كذلك في الحقوق التي كفلها الاسلام للمرأة حق التعليم متساوية في ذلك الرجل.

قد سجل المؤرخين والحفاظ اسماء كثير من نساء المسلمين اللاتي اشتغلن بالعلم حفظا ومن هؤلاء السيدة نفيسة التي اطلق عليها نفيسة العلم وقد اخذ عنها الامام الشافعي عندما حضر الي مصر كلها فقد ترجم السيوطي كتابه نزهة الجلساء في اشعار النساء لسبع وثلاثين شاعرة وفي كتاب طبقات الاطباء ترجم ابن ابي اصبيعة لمجموعة من النساء برعن في صناعة الطب والجراحة .

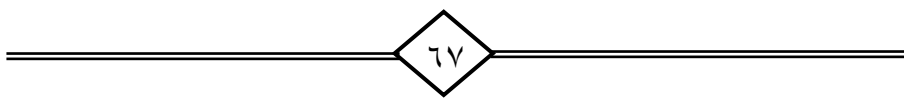
### أمثلة لدور المرأة في العصور الاسلامية :

في محاولة للتعرف على بعض اوضاع المرأة المسلمة منذ عهد النبوة نجد نماذج مشرفة لدور المرأة المسلمة فها هي السيدة خديجة رضى اله عنها زوجة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مؤازراتها للنبي ومساندتها له حين جاء الوحي وعاد من غار حراء مضطربا بعض الشئ نظرا لملاقاته لجبريل عليه السلام لأول مرة فيما كان فما كان منها الا ان شددت من ازره وطمأننته وقالت له : "فلا والله لا يخزيك الله ابدا وهذا الموقف العظيم من زوجة عظيمة جعلت الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يجلها من نفسه مكانه سامية في حياتها وبعد مماتها.

- وفي العصر الاموي ساهمت المرأة بدور كبير في الحياة ومن هؤلاء ام الدرداء الصغيرة التي كانت تلقى دروسا دينية في مسجد دمشق كذلك ام البنين ابنه عبد العزيز بن مروان وزوجة الوليد التي اشتهرت بالفصاحة والبلاغة .

- وفي العصر العباسي برزت بعض النساء اللاتي اشتهرت وممن كان لهن شأن كبير كالخيزران زوجة المهدي وام الهادي والرشيد والسيدة زبيدة زوجة الرشيد التي اشتهرت في حبها للخير وتقديم العون للمسلمين ومن أعمالها الصالحة توصيل مياه الشرب لاهل مكة حيث امرت بتسهيل مرور المياه من المرتفعات القريبة من مكة ونقلها الي الحرم حتى يتمكن الناس من الاستفادة من هذه المياه كما امرت باصلاح الطريق من بغداد ومكة فضلا عن حفر البرك والابار على الطريق .

- وفي الاندلس شاركت المرأة في الحياة السياسية وظهرت النساء سياسيات منهم السيدة صبح البشكنسية زوجة الخليفة الحكم المستنصر الاموي في الاندلس التي لعبت دوراً هاماً في تصريف سياسة الدولة في عهد الخليفة شاركت المرأة في الاندلس الرجل في الثقافة والعلم والحياة العامة فقد برزت من نساء الاندلس شاعرات جليلات منهم حفصة الوادي وولادة بنت المستكفي بالله وحسنا التميمية ومن اشهرن جميعا الشاعرة حمدونة بنت زياد الوادي اشية وكانت تسمى بخنساء المغرب والأندلس.



## الفصل السادس

### الحياة الإقتصادية في الإسلام

أولاً : الزراعة .

ثانياً : الصناعة .

ثالثاً : التجارة .

## أولاً : الزراعة :

اعتمد الاقتصاد الإسلامي على الزراعة ، ذلك لأن الولايات التي كانت تتكون منها الدولة الإسلامية كانت في جملتها أرضاً زراعية ، بل كانت تضم أخصب بلاد العالم تربة وأكثرها إنتاجاً وأغزرها ماء في مصر والشام والعراق وما وراء النهر والأندلس ، فتعددت محاصيلها وتنوعت زراعتها لتكون في مجموعها وحدة إنتاجية زراعية من الطراز الأول .

وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه قد وضع نواة السياسة الزراعية وتحسين الإنتاج الزراعي ، حين أمر أن تعطى الأرض الموات أي البور لمن يصلحها ، وجاء بعد ذلك عمر فسن سياسة حازمة تحفظ للفلاحين أرضهم الزراعية بإنتاجها وخيراتها ، ذلك أنه حدث لما اتسعت رقعة الدولة أنه طمع بعض جنود المسلمين في تملك الأرض الزراعية ، ولكن عمر بكل ما عهد فيه من شدة وحزم رفض هذا الاتجاه بقوة بعد أن لمس الأخطار التي ستترتب عليه، إذا خشى أن يفقد الجنود المسلمون طابعهم العسكري بالتدريج، نتيجة لاستقرارهم بجوار أرضهم الجديدة وتعلقهم بها وحرصهم عليها مما يهدد الدولة بضعف جيشها ، وأمر عمر أن تبقى الأرض في حوزة مالكيها الأصليين سواء أكانوا مسلمين أم ذميين، إلا في حالات نادرة .

ومرت الأيام وبدأت الدولة الإسلامية تستقر بعد اتساع رقعتها ، وبدأ الخلفاء في عهد الدولتين الأموية والعباسية ينفذون خطة مدروسة ترمي إلى النهوض بالزراعة، باعتبارها المصدر الرئيسي لثروة البلاد ، وبالتالي أهم موارد بيت المال، فأمروا بشق الترع وحفر القنوات وإقامة الجسور، وإنشاء المقاييس ومنها مقاييس أنشأها على النيل عبد العزيز بن مروان في حلوان، وأسامة بن يزيد التنوخي في الروضة، عدا مقاييس أسوان ودندرة، وكانت وسيلة هدفها

التخفيف عن الفلاحين وتقرير الضرائب على حسب الزيادة أو النقص في ماء النيل .

ولم يتردد الأمويون في حفر مجري مائي في دمشق لإرواء الأراضي القابلة للزراعة والتي لا تجد الماء الكافي أطلقوا عليه اسم نهر يزيد ، كما عنى العباسيون بالري وخصصوا له ديواناً قائماً بذاته جندوا له جهازاً بشرياً ضخماً قوامه مئات من الموظفين الأكفاء ، كما أمروا بتجفيف المساحات الهائلة الممتدة بين البصرة والكوفة والتي تشغلها المستنقعات ، ثم زراعتها .

وخصص الفاطميون في مصر آلافاً من العمال لتطهير مجرى نهر النيل، وبناء القناطر والجسور، ولم يترددوا في تخصيص قدر معين من خراج مصر للصرف على شئون الري تقديراً منهم للزراعة كمصدر رئيسياً للدخل، وفي نفس الوقت لم يثقلوا كاهل الفلاحين بفرض الضرائب جزافاً، بل كانوا يقدرون الخراج على حسب جودة الأرض ومدى سهولة ريها ، كما نظموا مواعيد جباية الخراج بحيث تحصل في مواسم الحصاد، وعلى ضوء إنتاجه الفعلي، بعد أن كان الخراج يفرض ويسدد دون نقصان مهما ساء الإنتاج أو قل الماء .

وعرف المسلمون طريقة تسميد الأرض وهي لا تختلف عن الطريقة البدائية التي لا تزال متبعة حتى الآن في كثير من القرى العربية، ونعنى بها استخدام روث البهائم والبقر في هذا الغرض، بل كانوا يستخدمون فضلات الإنسان أحياناً .

أما الآلات التي كانت تستخدم في الزراعة، فهي الشادوف والمحراث والنورج والفأس والشرشرة وغيرها من الآلات التي لا تزال في جملتها تستخدم حتى الآن .

تعد السياسة المائية التي سار عليها العرب مفخرة فقد عرف العرف كيف يضبطون النهر ويتحكمون في مائه وذلك عن طريق بناء السدود في عرض النهر لحجز مائة وقت الفيضانات ثم لاستغلالها بعد ذلك إذا شح الماء أو عند الحاجة .

حقيقة كانت هذه السدود في جملتها تنقصها الصلابة التي تملكها من الصمود طويلاً، ولكنهم لم يألوا جهداً في إدخال التحسينات عليها ، وكان ديوان الري ينفق عليها الكثير من الأموال ويجند لها المئات من العمال فيقيمون السدود على مختلف الأنهار ، فبنوا سدوداً على نهري دجلة والفرات من القصب والتراب لحجز ماء النهرين ، ولكن طابع العجلة التي اتسمت به جعلها ضعيفة الاحتمال، فكان يكفي أن تحدث ثغرة يسيره في إحدى نواحي السد حتى يندفع المال منها فيهدمه كله ، بل كثيراً ما تسبب فأر في أن يضيع في ساعة ما تعبوا في إنشائه عاماً كاملاً.

لهذا كان الخلفاء يأمرّون دائماً بصيانة السدود وحراستها وتقويتها، فكانوا يخصصون لكل سد عدداً من الحراس والغواصين قد يبلغون أحياناً الأربعمئة عامل مهمتهم السهر على صيانة السد وحراسته ليلاً ونهاراً في مناورات لا تنقطع وكانوا يتفقدون السدود في زيارات مفاجئة للاطمئنان على قوتها وصمودها .

وتعددت الحاصلات والإنتاج الزراعي في أرجاء الوطن العربي الإسلامي لتباين أقاليمه تربه ومناخاً ورياً ، حتى كان كل بلد يشتهر بلون معين منها، وينفرد به دون غيره، لكن بقيت الحبوب هي أهم الحاصلات الزراعية في الدول الإسلامية كلها.

ففي مصر زرعت من الحبوب أنواع مختلفة منها القمح والشعير والأرز، وكذلك الفول والعدس والسمسم، ومن نباتات الألياف زرع القطن، والكتان ومن الثمار النارج وأنواع من الفاكهة والموز وقصب السكر.

وفي الشام حيث شق الأمويون عدداً من الأنهار والقنوات ، كما جدوا عدداً آخر منها زرعت أشجار الكروم والزيتون في فلسطين ولبنان بوجه خاص، وكان الشام يتولى مع شمال أفريقيا مد العالم العربي كله بحاجته من الزيتون وزيته وكانت لنابلس ولا تزال شهرتها في هذا الشأن، إلى جانب ذلك اشتهرت الشام بتفاحها الذي أصبح مضرب الأمثال في حلاوة مذاقه .

وفي العراق اشتهرت زراعة التمور والبلح بأنواعه الذي صدر بكميات كبيرة إلى أجزاء الوطن العربي، هذا إلى جانب الحبوب كالقمح والشعير والأرز وكذلك النارج والكتان والبنفسج والكروم.

أما خراسان وما وراء النهر فقد نافستا مصر والعراق في تقدم الزراعة، وفرة الحاصلات وأهمها الحبوب ، إلى جانب الزيتون وقصب السكر، وقد تميزت بعض أجزائها بالحدائق المترامية والمروج الخضراء وإذا عرجنا على اليمن وجدنا الذرة والكروم والنارج إلى جانب الجزر والخوخ والقرع ، وكانت تصنع كميات كبيرة من العسل منها وتصدر لبقية الدول الإسلامية .

### ثانياً : الصناعة :

نشطت الصناعة الإسلامية وازدهرت في ربوع الدولة وخاصة في القرن الرابع الهجري الذي اتسم بطابع النهضة الصناعية ، وساعد وجود الثروة المعدنية بأنواعها من جهة واستقرار الأمور في البلاد من وجهة واستقرار الأمور في البلاد من جهة أخرى ، على خلق هذه النهضة.



ويمكن أن نقسم الصناعة الإسلامية إلى أربعة أقسام هي : الصناعات المعدنية وصناعة المنسوجات بأنواعها، والصناعات الغذائية وعدد من الصناعات المختلفة الأخرى .

فأما الصناعات المعدنية، فقد تعددت لتعدد الثروة المعدنية في الدولة الإسلامية التي عرف العباسيون بوجه خاص كيف يستثمرونها ويصنعون ما يمكن تصنيعه منها ، فكان لصناعة الحلي والجواهر الكريمة شأنها الرفيع بين الصناعات العربية، فكان اللؤلؤ والياقوت والزمرد من الجواهر المفضلة لدى الطبقة الثرية، وكانت قصور الخلفاء في بغداد والقاهرة وقرطبة تغص بالمصنوعات الدقيقة المرصعة بالحلي والجواهر بمختلف أنواعها وأحجامها .

ويمكن أن نتصور عظمة الصناعات الثمينة المماثلة في بغداد وفي عهد هارون الرشيد مثلاً إذا عرفنا أن الدولة العباسية عاشت في عهده عصرها الذهبي حيث نبغ العباسيون في التوسع في صناعة زخرفة المعادن وتذهيبها وتفضيضاها وفي الصياغة والتكفيت وكان الخلفاء يعشقون ويقتنون كل ما هو ثمين وطريف فقد ذكر أن الرشيد استرى ياقوته حمراء منقوش عليها اسمه بمبلغ ٤٠,٠٠٠ دينار.

وإلى جانب ذلك كله نجحت الصناعات الحديدية والنحاسية وتميزت إلى جانب دقتها بسلامة الذوق والجمال الفني .

أما عن صناعة المنسوجات فقد برع فيها المسلمون إبان العصر العباسي بوجه خاص إذا اتسع نطاقها وتخصصت بعض المدن في صناعة أنواع من الأقمشة بذاتها حريرية أو صوفية أو قطنية أو كتانية ، فبينما عرفت دمشق بنوع من الأقمشة عرف باسم ( داماسك ) عرفت الموصل بصناعة نوع

آخر هو الموصلين، والكوفة بنوع ثالث هو الكوفيات وهي مناديل حريرية تتخذ أغطية للرأس تتفاوت أحجامها ، واشتهر حتى عتاب في بغداد بنوع من النسيج المخطط يسمى العتابي وعرف في جنوب أوربا حيث كان يصدر باسم Tapis وهي كلمة فرنسية معناها السجاد وهكذا اشتهرت كل بلدة بنوع معين من القماش عرف باسمها، وفي مصر عرفت دمياط بنوع من القماش الحريري رسمى (دمياطي)، وتتنيس بنوع اسمه التتيسي الذى ذاعت شهرته في أوربا واستوردته بكميات كبيرة لجودته ومثاقته ونعومته، فضلاً عن جمال شكله وكان يباع بأسعار مرتفعة .

كما اشتهرت العراق وخراسان بصناعة الأقمشة القطنية ، وكان يزرع بهما القطن أيضاً أما فارس فبرعت في صناعة الأقمشة الصوفية والسجاجيد والبسط والمطرزات وأنتج مسلمو الأندلس الأقمشة الحريرية بعد أن جلب المسلمون معهم دودة القز الأولى مرة إلى هذه الجهات .

هذا إلى جانب كسوة الكعبة الشريفة التي كانت مصانع مصر تقوم بعملها وفق اشتراطات خاصة ، وما يزال هذا التقليد معمولاً به حتى وقتنا الحاضر .

أما الصناعات الغذائية فقد كان للمسلمين فيها نشاط ظاهر ، من ذلك أنهم كانوا يعمدون إلى صيد السمك من البحار والأنهار المجاورة لهم وكانت حصيلتهم دائماً كبيرة وعادة من الأسماك الصغيرة الحجم ، فكانوا يجففونها ويملحونها ثم يصدرون الفائض عن حاجتهم .

وعرف المسلمون صناعة معقدات السكر والعسل المستخرج من الجزر والخواخوخ وقصب السكر، وكانت طريقتهم في ذلك عصر الفاكهة ووضعها

في أوان كبيرة خاصة عدة أيام ثم تختتم أفواهها ، وتصدر فإذا أريد وضع العسل على مائدة الطعام ضربت القصبة التي تسد فوهة الأنية ، فيسيل العسل منها ، وكانت لمصر والشام شهرة خاصة في صناعة السكر .

وفي الشام نجحت صناعة الزيوت والشراب ، وازدهرت صناعة المواد العطرية التي أفرد لها المسلمون في دمشق وشيراز مزارع خاصة لزراعة الورد والبنفسج وصنعوا منها المواد العطرية التي عبئت في زجاجات متفاوتة الأحجام ، كان يصدر للخليفة العباسي سنوياً منها أكثر من ٣٠,٠٠٠ زجاجة من فارس وحدها .

أما بقية الصناعات فقد تنوعت وتعددت وسنبدأ بالكلام عن صناعة الورق التي كانت مصر تحتكرها زمناً طويلاً منذ القدم فكانت تصنعه من البردي ، ثم تصدر الفائض منه للخارج ، ولكن عندما دخلت صناعة الورق إلى العالم الإسلامي بطريقها الجديدة عن طريق الصين في عهد هارون الرشيد ، تعددت مراكز صناعة الورق في العالم الإسلامي ، وكان أشهرها مصانع سمرقند وبغداد وطرابلس الشام وبلنسية بالأندلس ، إلى جانب مصانع مصر .

وكان الورق المصنوع في الصين والذي دخلت صناعته العالم كله يصنع من شرائق الحرير ، وقد نقله المسلمون عنهم ثم ابتكروا نوعاً من الورق مصنوعاً من القطن، كما اخترعوا نوعاً آخر من الورق أقل جودة مصنوعاً من الأسماك البالية ، وقد عرفته أوروبا عن المسلمين بعد ذلك بنحو قرنين .

وكان لهذه الصناعة آثارها الخطيرة في الفكر الإنساني وحفظ التراث العالمي ، إذ أن صناعة الورق حفظته من الضياع .

وتطورت صناعة الورق الإسلامية إلى أحسن بعد أن عرف المسلمون استخدام القنب والكتان في صنع الورق وتعددت تبعاً لذلك مصانع الورق ، فزادت لذلك الكتب والمكتبات العامة والخاصة في الوقت الذي كانت فيه أوروبا لا تعرف إلا رقائق جلد الحيوان الغليظة الخشنة .

أما عن صناعة البارود والأسلحة النارية فقد كان للمسلمين السبق في التوصل إلى نسبة الذخيرة التي يدك بها المدافع فقالوا : ( تؤخذ عشرة دراهم من ملح البارود ودرهم من الفحم ودرهم ونصف درهم من الكبريت ، وتسحق كلها حتى تصبح كالغبار ويملاً بها ثلث المدفع فقط ، وتولج قطعة من الخشب في فوهة المدفع تتناسب وحجمها ثم تشعل بعد إضافة ما يلهب نارها ) .

وقد تقنن المسلمون في استخدام النار الإغريقية وأصبحت لهم عامل هجوم لهم وألقوا بها الرعب في قلوب أعدائهم ، ومكنتهم من إحراز عديد من الانتصارات عليهم .

### ثالثاً : التجارة:

#### المسلمون والتجارة الداخلية :

للمسلمين نشاطهم التجاري المنظم في الداخل والخارج ، فقد أدرك الخلفاء في الداخل والخارج ما للتجارة من أهمية ، فعملوا على تنظيمها والإشراف عليها ومراقبتها ، وتوفير أسباب الراحة للتجار والأهالي ، أي للباعة والمشتريين على السواء ، وكانت النتيجة رواج التجارة الداخلية ، ورفع مستوى التجار وشيوع الرخاء في المجتمع .

ومما يذكر أنه كانت تخصص أماكن معينة للأسواق في كل مدينة إسلامية وحرص الخلفاء على إقامة الأسواق في كل مدينة تبني ، وكانت تتميز

بطاقتها وبشوارعها الطويلة الممتدة التي تحفها الحوانيت على الجانبين، وكانت كل طائفة من التجار تحتل مكاناً مخصصاً لها ، وجعلت على نهاية الشوارع التجارية أبواب تغلق كل مساء .

وكان التجار يولون عملهم معظم وقتهم، فلا يذهبون إلى بيوتهم إلا في المساء، ويفضلون تناول الغداء في حوانيتهم توفيراً للوقت ، وحرصاً على عدم تعطيل حركة التجارة المستمرة طول النهار.

وكان الخلفاء يولون هذه الأسواق أهمية بالغة ويعنون بتنظيمها ، وكانوا يعهدون إلى المحتسب بمراقبتها والإشراف على الموازين والمكاييل ومنع الغش، ولم يتردد هارون الرشيد في إصدار قانون يمنع فيه المضاربات التجارية لحماية المستهلك من استغلال بعض التجار الجشعين ، ومنعهم من المضاربة في أقوات الشعب بوجه خاص ، وقد عهد إلى المحتسب بمراقبة تنفيذ القانون ، وكان المحتسب بحكم منصبه يعمل دائماً على التحقق من جودة الصنف وصلاحيته وعدم تطرق الفساد إليه .

وكان يخصص لأسواق المدن أيام معينة كل أسبوع، على غرار النظام المعروف الآن لدينا ، فكان سوق بغداد يقام أيام الثلاثاء ، وسوق خوزستان بالمشرق والعسكر بمصر أيام الجمع ، وسوق الجزائر أيام الأربعاء ، وسوق القيروان أيام الأحد .

وقد أقيمت الفنادق في المدن التجارية الكبيرة ليأوي إليها التجار الغرباء أو القادمون أو العابرون، وكانت الفنادق تعمل على راحة نزلائها ، فتقدم لهم المأوى والمأكل طيلة فترة إقامتهم في المدينة ، وكان التجار يضعون بضائعهم وحاجاتهم في أسفل الفندق وينامون هم في الطابق العلوي.

وقد عرف المسلمون (جواز السفر) واستخدموه بالنسبة للأجانب خشية أن يندس بينهم شرير وقد استخدم هذا الجواز في مصر منذ عهد مبكر، وكان يدرج في الجواز أسماء المرافقين للمسافر من أفراد أسرته وأسماء الخدم إن وجدوا. ولكن يبدو أن هذا النظام لم يطبق بهذه الدقة في بقية أنحاء الدولة ، إذ لم يكن أحد يتعرض عادة للمسافرين الغرباء ما داموا يعبرون الطريق في هدوء وسلام.

وكان التجار يتعاملون فيما بينهم بالنقد، وقد كان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أول من أمر بضرب النقود الإسلامية .

وكان المسلمين لم يقتصروا على العملة، بل يمكن أن يقال باطمئنان أنهم بلغوا الذروة في التقدم الاقتصادي، إذ عرفوا التعامل بالصكوك أو بنظام يشبه نظام (الشيكات) المعروف اليوم ، وهذا في رأي المؤرخين جميعاً دليل نضجهم وتطورهم في الميدان الاقتصادي ، وسبقهم للعصر الذي عاشوا فيه بمئات السنين .

فقد أدى نمو التجارة إلى ظهور المصارف في القرن التاسع الميلادي، وقد أشاد المؤرخون الأوروبيون بهذا النظام الفريد في التعامل واعتبروه جميعاً دليلاً على النضج والتقدم البالغ .

ولقد كان ابتكار المسلمين لهذا النظام الرأقي في المعاملات المالية، وخاصة الكبيرة منها، وسيلة مأمونة أصبح نظام السندات أو الشيكات مألوفاً عند المسلمين في أغلب أنحاء العالم الإسلامي .

كما عرف المسلمون نظام التعامل بالصكوك، والصك هو سند الدين ك شراء رجل لبضاعة لم يدفع ثمنها ثم كتابته صكاً على نفسه بقيمتها. وكانت

الدولة والأهالي على السواء يعترفون بهذه الوسيلة الراقية من وسائل التعامل المالي .

وقد عرفت في الدولة الإسلامية مصارف حكومية سميت " مصارف الحضرة " كان صيارفها يقدمون للحكومة ما قد تحتاج إليه من مال ، وفي بعض الأوقات كانت الحكومات ترهن لديها بعض الضرائب التي لم تحصل يعد نظير حصولها على قرض كبير .

### المسلمون والتجارة الخارجية :

أقام المسلمون علاقات تجارية ناجحة مع الهند والصين ، ومع مختلف أجزاء أفريقيا الشرقية والغربية والشمالية ، وكذلك مع روسيا وشمال غرب أوروبا بما في ذلك السويد والدنمارك، وحملت بغداد والإسكندرية لواء هذه النهضة التجارية .

وفي هذا الوقت نفسه الذي امتد فيه نشاط المسلمين إلى معظم دول العالم المعروف إذ ذاك، كانت أوروبا كما يقول العالم الفرنسي المحقق جوستاف لويون "تشك حتى في وجود بلاد الشرق الأقصى" ، ولا تعرف من أفريقيا سوى بعض شواطئها الساحلية " .

وكان سفن المسلمين التجارية تتحرك من موانئ الخليج العربي وخاصة سيراف والبصرة التي كانت تسمى باب بغداد الكبير ، وكذلك من عدم ومن موانئ البحر الأحمر إلى الهند وجزر الهند الشرقية وسيام والصين، حاملة معها المتاجر الإسلامية في رحلة بحرية مريحة ، تستغرق من ساحل الخليج حتى ساحل الهند فترة تتراوح بين الشهر أو الشهرين على حسب مدى مواتاة الأحوال الجوية، كما وصلت القوافل التجارية براً إلى الهند أيضاً عن طريق بري سلكوه

ماراً بشرق فارس وكشمير ، وكانوا يحملون للهند السكر والزجاج والأقمشة والزيوت والعطور وماء الورد والحبوب ويعودون من الهند بالحرير والقصدير وأنواع من الأواني والأطباق والمقاعد وخشب الساج المشهور بصلابته وقوته ، وقد كان من أجود ما استخدم في المساجد والبيوت ، وصنعت من الأدوات الخشبية الثمينة ، وكذلك الخشب الأحمر الصافي الذي لا يؤثر فيه السوس وهو الذي صنع منه كل ما احتاج إليه مسجد قرطبة من أبواب وغيرها.

والى جانب ذلك كله كان المسلمون يعودون محملين بخليط من البضائع نذكر منها : الجلود والياقوت والفضة التي كانت تستخرج من مناجم هند كوش ، ويروى الرحالون المسلمون أنهم كانوا يشاهدون أكثر من ١٠٠,٠٠٠ عامل يتناوبون العمل في استخراج الفضة منها ، ووصفوا المعاملة الطبية التي لاقوها طوال رحلتهم سواء من الأهالي أو من حكام الهند مما كان له أثره فيما بعد في نشر الإسلام هناك .

وقد وثق التجار المسلمون علاقاتهم التجارية أيضاً بشبة جزيرة ملقا (الملايو) واتخذوا من مدينة كاله Kalah مركزاً لنشاطهم، وهي ميناء هام يقع على خط الاستواء، وكانت محطة للتجار القادمين من الصين أو العراق على السواء ، وكانت أسواقها عامرة بأخشاب الصندل وجوز الطيب وحوز الهند .

وكانت الهند هي همزة الوصل بين المسلمين والصينيين، فلما وصل المسلمون إلى الهند بحراً وشعروا بإبتقانهم لفنون البحر وسيطرتهم عليه لم يترددوا في المخاطرة بسفنهم في رحلات توصلهم إلى الصين بطريق البحر ونجحوا فعلاً في تحقيق بغيتهم ، وذلك عن طريق السير بمحاذاة شاطئ الهند حتى ملبار ثم الاتجاه مباشرة نحو الصين فوصلوا كانتون ولكن نظراً لما كانوا



يلاقونه من مخاطر أحياناً ، فقد كانوا دائماً يفضلون الطريق البري الذي كانت تسلكه قوافلهم في أربعين يوماً أحياناً إذا لم تصادفهم عقبات ، وهو المعروف بطريق الحرير العظيم ويمر سمر قند وتركستان ، وسمي بهذا الاسم نظراً لأن القوافل كانت تحرص على جلب الحرير بصفة خاصة من الصين.

وقد ساعد ذلك على إغراء بعض التجار المسلمين بالبقاء في الصين والاستقرار فيها، وحينما عصا الترحال وألقوها هناك ، حملوا معهم دينهم الإسلامي ، ونشروه في بعض الجهات وخاصة في بكين التي تضم وحدها الآن قرابة ربع مليون مسلم ولهم فيها أحد عشر مسجداً، كما تركز عدد كبير منهم في خانقو جنوبي شنغهاي حتى بلغوا اليوم قرابة العشرين مليوناً .

وقد حمل التجار المسلمون إلى الصين الحجارة الثمينة والمرجان والمنسوجات الصوفية والتمور والسكر والسيوف والآنية الزجاجية وغيرها، وعادوا محملين منها بالورق والمنسوجات الحريرية بوجه خاص والقيشاني والشاي والمسك والكافور والتوابل والقرفة وبعض المستحضرات الطبية .

كذلك وطد المسلمون صلاتهم التجارية بأجزاء متعددة في أفريقيا لم يدخلها أجنبي من قبل، ووصل بعضهم إلى أصقاع مجهولة في قلب القارة الأفريقية وجعلوا هناك رجالهم ، وترتب على ذلك بطبيعة الحال نشر الدين الإسلامي هناك وفي أماكن يتعذر اليوم على الكثيرين الوصول إليها إلا بمشقة بالغة ، مما يدل على مدى تغلغل التجار المسلمين في أنحار القارة .

وكان المسلمون يلقون دائماً أطيب معاملة من الأهالي الذين كانوا يقدمون لهم الذهب والعاج وجلود النمر وظهور السلاحف لصنع الأمشاط الممتازة، هذا إلى جانب الرقيق ، وذلك مقابل المنتجات الإسلامية من أدوات

معدنية وزجاجية وسكر وسيوف وزجاجات عطور عن طريق المقايضة، وهو نظام التعامل الشائع والمألوف إذ ذاك في أفريقيا حيث لم تكن العملة .

وقد امتدت العلاقة التجارية بين المسلمين وأوروبا إلى شمال هذه القارة ، وقد عثر على الآلاف من العملات العربية في منطقة البحر البلطي والسويد وخليج فنلدا مما يؤكد وصول المسلمين إلى هذه الجهات ، ويرجع أنهم سلكوا في رحلاتهم طريق نهر الفولجا إلى مدينة بلغار وهي المعروفة الآن باسم (سنبرسك) وكانت مركزاً تجارياً هاماً وحلقة اتصال بين آسيا وأفريقيا.

وكان المسلمون يلقون معاملة طيبة للغاية في طريقهم الطويل ، ويذكر المؤرخون كيف أسلم ملك الفولجا ٣٠٩ هـ (٩٢١م) بعد اتصاله بالتجار المسلمين واقتناعه بدينهم، وتبعة كثير من الأهالي الذين كانوا يكونون الود والتقدير للتجار المسلمين .

وقد ظلت التجارة الإسلامية ناشطة وقوية حتى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، حين وقعت اضطرابات وحروب في المنطقة مما يشجعهم على المغامرة بحياتهم ومتاجرهم فحل محلهم بعض التجار الأوروبيين .

## الفصل السابع

### الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام

أولاً : العلوم الدينية.

ثانياً : العلوم اللغوية .

ثالثاً : العلوم الطبيعية .

رابعاً : العلوم الاجتماعية .

## أولاً : العلوم الدينية :

تشمل : علوم القرآن والحديث والفقه :

### ١- علوم القرآن :

اهتم المسلمون بعلوم القرآن تنافس الصحابة في حفظ الآيات ومعرفة أسباب نزولها وقد تم جمع صحف القرآن متفرقة في عهد الخليفة ابو بكر الصديق وبعد وفاته عهد بها إلى الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده حفصه بنت عمرو وتم جمع سور القرآن في مصحف واحد في عهد الخليفة عثمان بن عفان وبعد انتشار الاسلام في الأمصار المختلفة ظهر علم قراءة القرآن والتفسير لحاجة المسلمين إليهما.

### أ- علم قراءة القرآن :

يعتبر علم القراءات المرحلة الاولى لتفسير القرآن وهذا العلم يدور حول قراءة نصوص القرآن لاختلاف بعض المسلمين في قراءة آياته بعد الفتوحات الاسلامية في عهد الراشدين فقام الخليفة عثمان بنسخ القرآن وتوزيعه على الامصار في الكوفة والبصرة والشام ومصر والمدينة حتى لا يختلف المسلمون في قراءاتهم لنصوص القرآن الكريم.

### تدوين المصحف :

نزل القرآن تدريجيا اية اية خلال ثلاث وعشرين سنة وذلك حسب الحاجة الي الاية وكان الصحابة يكتبون هذه الايات على سعف النخل والرقاع وعظام الواح الغنم والابل .

وبعد وفاة الرسول وقيام حروب الردة ومقتل اكثر القراء وخاصة يوم اليمامة أفزع هذا الامر عمر بن الخطاب فقال لابي بكر : ( ان القتل قد كثر

واستمر بقراء القرآن يوم اليمامة واني اخشى ان يستمر القتل بالقراء فيذهب من القرآن الكثير واني ارى ان تامر بجمع القرآن) فامر ابو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع وصدور فكان هذا اول جمع للقران من الصحف المتفرقة .

وقد لاحظ حذيفة بن اليمامة قائد عثمان في غزو اذربيجان اختلاف المسلمين في قراءة القرآن فاشار على عثمان بتدوين مصحف يقرأه المسلمون جميعا فاحضر عثمان المصحف من عند حفصه وامر بنسخ عدد من النسخ وقام بالمهمة زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث وامرهم ان يكتبوا ما يختلفون فيه بلغة قريش وهذا هو الجمع الثاني للقران والاسباب التي جعلت الخلفاء يكلفون زيد بن ثابت بجمع المصحف لأنه: ١- من كتاب الوحي .

٢- جمع القرآن كله في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم.

٣- كانت قرأته اخر قراءة عرضها النبي صلي الله عليه وسلم على جبريل. ثم أمر عثمان باحراق المصاحف الأخرى ووزع على كل ولاية نسخة معتمدة وهكذا كان هدف جمع القرآن في المرة الاولى حفظ القرآن من الضياع وهدف جمعه في المرة الثانية هو جمع الناس على وجه واحد في قراءة القرآن خشية وقوعهم في الخلاف الذى مصدره التحريف من زيادة ونقصان خاصة وان العرب قد اختلطوا بغيرهم من اهل البلاد المفتوحة الذين اختلفت لغاتهم وتباينت لهجاتهم.

#### ب - تفسير القرآن :

نزل القرآن بلغة العرب إلا أنهم كانوا متفاوتين في درجة استيعابهم حيث لم يكونوا على مستوى واحد من الكفاءة العقلية والثقافية لفهم القرآن علاوة

أن فهم القرآن يتطلب درجة عقلية خاصة. واختلف الصحابة أيضا في فهم القرآن بسبب تفاوتهم في التعمق في اللغة، والادب الجاهلي وتاريخ الأنبياء بالإضافة الى أن بعض الصحابة لازم النبي أكثر من غيره فتكون أسباب نزول الايات أوضح له . وعندما دخل الاسلام فيما بعد كثير من غير العرب احتاجوا الي من يفسر لهم معاني القرآن ليدركوا معناها فنشأ علم التفسير وأنقسم الى نوعين: أ- **التفسير بالنقل** : وهو ماورد بالنص نقلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين من تفسير لبعض الايات مثل سعيد ابن المسيب و ابن سيرين.

ب- **تفسير بالرأى والاجتهاد** : وهو محاولة تفسير الايات وعدم التسليم بظاهر اللفظ بل معانيها معتمدين على دراسة اسباب نزول الاية مثل عبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن عمر.

ومن أشهر المفسرين ومؤلفاتهم:-

- **الطبري**: جامع البيان في تفسير القرآن.
- **البغوي**: معالم التنزيل.
- **الزمخشري**: الكشاف .
- **الرازي** : مفاتيح الغيب
- **البيضاوي**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل .
- **جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي**: تفسير الجلالين.

### علم الحديث :

هو ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير ويعتبر علم الحديث من اهم العلوم الدينية عند المسلمين فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: (تركتم فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وسنة نبيه) وهكذا ارتبط الحديث بالقران الكريم.

خشى الصحابة الاوائل ان يجمعوا الحديث في كتاب واحد فينشغل الناس عن القرآن وكان لعدم تدوين الحديث في عهد مبكر ان سمح بعض القوم لانفسهم وضع احاديث ونسبوها الي الرسول لترهيبهم من الحرام او التقرب من ذى النفوذ كما حاول بعض الزنادقة والملاحدة افساد الدين الاسلامية بوضع احاديث مزورة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم.

### بدايات جمع الأحاديث :

مضى القرن الأول من الهجرة ولم يدون من الحديث الا القليل دونه افراد لانفسهم حتى لا ينسوه وعندما اتسعت الدولة الاسلامية وكثرت الاحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم اصبح من الضروري التاكيد من صحتها ولذا كان لابد من ذكر سلسلة الرواة الذين قاموا بنقل الحديث وقد عرفت سلسلة الرواة باسم السند او الاسناد بينما عرف نص الحديث باسم المتن كما بدأ المسلمون بجمع الحديث ومعرفة الحديث الصحيح.

### ازدهار علم الحديث :

شهد القرن الثاني والثالث الهجري نشاطا كبيرا في جمع الاحاديث وبلغ تقدمه في العصر العباسي على اساس مدى صدق روايتها اعتمادا على الاسناد اي الرجوع الي المصدر الاول الذى اخذ عنه الحديث وبهذا جمعت مصنفات كثيرة في الحديث صنفت حسب المواضيع التي تتصل بها وخصصت ابواب المواضيع فشملت الايمان والعبادات والمعاملات والعلم الخ.

وكان للنساء دور مهم في الحديث فقد اشتغلن بدراسة وروايته وحصلن على اجازات للتدريس وقد تفوقت نساء كثيرات مثل ام المؤمنين عائشة فكان

لها حظ وافر في الرواية وقد برزت في العصر العباسي كريمة بنت احمد وكان العلماء الافاضل يحضرون دروسها منهم الخطيب البغدادي المؤرخ المعروف (٢٤٣هـ/١٠٧١م).

اجتهد العلماء في جمع الحديث وقاموا برحلات كثيرة بين اواسط آسيا والاندلس ينتقلون من بلدة لاخرى لا غرض لهم الا سماع الحديث او الاصغاء الي المحدثين فكانت اهمية الرحلة في طلب العلم باللغة الالهية.

### أسباب جمع الحديث الشريف:

- اهتمام المسلمين بالحديث لتوضيح حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته ونشرها بين الناس ولتنظيم الحياة في مختلف نواحيها.
- كثرة الحديث ورغبة المحدثين في استقصاء الاحاديث الصحيحة .
- عناية العباسيين بالسنة وتركزت اثرا واضحا في تنشيط الحركة التي كانت ترمي الي جمع الحديث وتدوينه
- ظهور مدرستين للفقهاء احدهما في العراق والأخرى في الحجاز ورغبة هاتين المدرستين بتنظيم مادة الحديث وتدوينها.

### كتب الحديث :

ألف عدد من العلماء مجموعات عديدة للحديث رتبت محتوياتها وفق اسماء الصحابة الذين تسند اليهم بصرف النظر عن موضوع الحديث منها:  
- وقد صنفت الأحاديث حسب المواضيع وأبرز هذه المصنفات:

- صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .
- سنن الترمذی ,



- سنن ابن ماجه .
- سنن أبو داود .
- سنن النسائي .

- **السيوطي** اللالىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعه .

ولمصنفي البخاري ومسلم منزلة خاصة فهما أكثر الكتب انتشارا حتى أصبح اصحابها يعرفان بالشيخان فيقال رواه الشيخان في صحيحهما.

### **علم الفقه والتشريع :**

هو العلم الذى يبحث في استنباط الاحكام الشرعية من مصادرها الكتاب والسنة والقياس والاجماع ارتبط علم الفقه بقضايا الناس فكان الخلفاء الراشدون يحلون هذه المشاكل في المدينة وعندما اتسعت الدولة الاسلامية احتاج المسلمون الي تنظيم حياة الناس وعلاقاتهم في لبيئة الجديدة . اعتمد الناس في حل مشاكلهم على كبار العلماء كمالك بن انس أبو حنيفة النعمان.

## ثانياً : علم اللغة العربية :

تعد اللغة العربية من أغني اللغات السامية وأرقاها. فهي تتصف بالمرونة وكثرة المرادفات، والقدرة علي صياغة المشتقات من ألفاظها مع سهولة التعبير الدقيق في إطار من سمو البلاغة وسحر البيان وهي باعتراف الباحثين، أدمس وأثري اللغات السامية، وأوسعها أفقاً. قبل الإسلام وبعده علا شأنها وثبتت أركانها أينما حل الإسلام وانتشر. وقد أصبحت لغة حضارة جديدة ارتبطت بالإسلام كدين ودولة وتاريخ في نشأتها وأثناء نموها ، وحين ازدهارها فهي لم تقف عاجزة أمام علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم من أصحاب الحضارات السابقة وإنما عبرت عن علومهم بما فيها من معان ومصطلحات لم يعرفها العرب من قبل .

ولقد حاول البعض أن يرجع سبب انتشارها ف البلاد التي فتحها المسلمون إلي حاجة أهالي تلك البلاد إلي تعلم لغة الحكام العرب الجدد كي يخاطبهم بلسانهم لأمر عديده أهمها تيسير مصالحهم الاقتصادية والادارية وغيرها ، فإن العامل الأساسي في انتشار اللغة العربية بين أهالي البلاد المفتوحة هو ارتباط هذه اللغة بالإسلام .

وكان من الطبيعي أن يهتم المسلمون منذ وقت مبكر بعلم اللغة العربية، فاتجه العلماء إلي البادية يجمعون الكلمات والمفردات التي استعملها العرب، إلا أن هناك صعوبات عديدة اعترضت عملية جمع اللغة منها :

أ - أن اللغة العربية في تلك المرحلة الأولى لم تكن مشكلة أو منقوطة .

ب - كانت معرفة العلماء الأوائل بلغة من حولهم من الشعوب كالفرس والروم والسرّيان ضعيفة. والمعروف أن اللغة العربية فيها كثير من الكلمات من هذه اللغات .

ج - إن بعض علماء اللغة لم يكن ثقة فيها يرويّه .  
وكان القرآن الكريم هو أول مصدر جمع منه العلماء مفردات اللغة العربية .

### جمع اللغة العربية :

في أول الأمر تم الجمع علي أساس جمع الكلمات، كجمع كلمات تخص النبات من شجر وثمر وغيره، وأخرى تخص السلاح والمعارك ، وثالثة تتناول الحيوان من أبل وضواري وغيرها. ثم أتت مرحلة ثالثة وهي جمع كلمات موضوع بعينه. فهذا كتاب في الإبل، وذلك في المطر وهكذا ...  
وبعد ذلك جاءت الخطوة الثالثة، وهي وضع معجم شامل لجميع الكلمات في اللغة العربية. وكان أول من فكر في اتخاذ هذه الخطوة هو الخليل بن أحمد في القرن الثاني للهجرة ( ت ١٨٠هـ ).  
" كتاب العين " باعتباره بدأ بحرف العين . ولما كان هذا الكتاب يعد أول معجم لمعجم عربي .

### علم الأدب :

اشتهر الأدب العربي بالقوة والثراء منذ العصر الجاهلي ، وخاصة في مجال الشعر. فطبيعة بلاد العرب ساعدت علي إنتاج نوع من الشعر الرقيق في الغزل والفخر والمدح والهجاء .

وساعد علي ارتقاء الشعر ووفرتة في ذلك العصر ظهور أحزاب سياسية و فرق مذهبية متطاحنة دخلت في مساجلات ومنازعات ومناظرات استخدام فيها الشعر . فضلاً عمل يجري من مناقشات بين الشعراء وخاصة ما كان بين جرير والفرزدق .

### أسباب ارتقاء الشعر وتطوره في العصر العباسي :

- ١- اختلاف صور الحياة في هذا العصر ، واختلاف قيم الأشياء عما كانت عليه من قبل ، حيث ظهرت مفاهيم جديدة .
- ٢- تأثير الثقافة الأجنبية بصفة عامة والفارسية بصفة خاصة في الشعر والأدب العباسي .
- ٣- انتشار الشعوبية التي قامت علي الحط من شأن العرب ونقد أشعارهم .
- ٤- تشجيع الخلفاء والوزراء والأفراد للشعراء .
- ٥- الخلافات بين الفرق المختلفة كالشيعة والمعتزلة ، واستعانة كل فريق منهم بالشعر والشعراء للدفاع عن مبادئه والتغلب علي خصومه .

### علوم النقل والترجمة :

#### جذور حركة الترجمة :

بعد ظهور الإسلام، وفتح المسلمين للعراق والشام ومصر في القرن السابع الميلادي، وجد المسلمون في هذه البلاد مدارس تتضمن حضارة اليونان وفكرهم وعلومهم . ويبدو أن العرب في ذلك الوقت لم يجهلوا تلك الثقافات جهلاً تاماً ، إذ كانت بعض المؤثرات الثقافية من المدارس السابقة قد تسربت إليهم. لعلاج سعد بن أبي وقاص عندما مرض في حجة الوداع .

ولكن باستقرار المسلمين في البلاد المفتوحة، واحتواء دولتهم الجديدة علي مراكز اليونانية والسريانية في بلاد الشام ومصر وفارس والعراق وغيرهما من البلاد التي شهدت ازدهار الحضارتين اليونانية والفارسية، إلي التزود بقسط نافع من تلك الثقافات التي التقوا بها. ولا سبيل إلي ذلك إلا بترجمتها إلي لغتهم .

وترجع الجذور الأولى لحركة الترجمة إلي العربية، إلي أوائل العصر الأموي، إذ تردد في المصادر أن خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بحكم آل مروان أرسل بعد أن أقصي عن الخلافة إلي الإسكندرية في طلب بعض الكتب في الطب وعلم الصنعة ( الكيمياء ) لترجمتها إلي العربية .

إذا كانت جهود خالد بن معاوية هي نقطة البداية في حركة الترجمة إلي العربية، فقد أعقبها جهود أخرى. فنحن نسمع بعد ذلك أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز اصطحب أحد العلماء مدرسة الإسكندرية بعد أن أسلم علي يديه ، ويعرف هذه الرجل " بابن أبجر " واعتمد عليه في صناعة الطب .

سالم كاتب الخليفة هشام بن عبد الملك ترجم رسائل الفيلسوف أرسطو من اليونانية الى العربية

ويمكن القول أن حركة الترجمة ظلت في العصر الأموي تعبر عن محاولات فردية تزول بزوال رعاتها الأفراد، والمرجح أن حركة الترجمة ولدت في العصر الأموي حيث بدأت بداية بسيطة.

### **حركة الترجمة في العصر العباسي:**

في العصر العباسي اشتد ساعدها وأصبحت تمثل ركنا من أركان سياسة الدولة وحكامها. هذا فضلاً عن انها في العصر الأموي اقتصر علي الكيمياء والفلك والطب، أما في العصر العباسي فقد صارت اوسع أفقاً فشملت

الفلسفة والمنطق ، فضلاً عن بقية العلوم التجريبية والكتب الأدبية والاجتماعية وغيرها. والثابت أن الخلفاء العباسيين فتحوا أبواب عاصمتهم بغداد أمام العلماء وأجزلوا لهم العطاء وشجعوهم، بصرف النظر عن ملهم وعقائدهم ، فنزح كثيرون إلى بغداد من جنديسابور ، وحران ، ونصيبين ، وغيرها من مراكز العلم والفكر القديمة. الخليفة أبا جعفر المنصور عني بترجمة الكتب إلى العربية، سواء الكتب اليونانية أو الفارسية وفي تلك المرحلة نقل حنين بن اسحق بعض كتب أبقراط وجالينوس في الطب في حين نقل ابن المقفع كتاب كيلة ودمنة من الفهلوية .

وعندما ازدادت أعداد العلماء في بغداد أنشأ لهم هارون الرشيد " بيت الحكمة ليكون بمثابة أكاديمية علمية ، يجتمع بيم رحابها المعلمون والمتعلمون، وحرص علي تزويدها بالكتب التي نقلت من آسيا الصغرى ، والقسطنطينية ، ومصر، والشام، وغيرها. وفي بيت الحكمة هذا عكف المترجمون علي ترجمة أمهات الكتب في شتي العلوم والفنون إلى العربية وفي عهد المأمون ازدادت العناية ببيت الحكمة فوسع الخليفة من نشاطه واحتقي بالمزيد من العلماء العاملين فيه ، كما ضاعف العطاء للمترجمين إلى العربية، كذلك دأب المأمون علي إرسال البعوث إلى القسطنطينية لاستحضار ما يمكن الحصول عليه من المؤلفات اليونانية .

واشتهر من المترجمين في صدر العصر العباسي : ثيوفيل بن توما الرهاوي، وجورجيس بن جبرائيل، ويوحنا بن ماسويه، ويحيى بن البطريق ومن أعظم الأسماء سألقة الذكر حنين بن اسحق الذي ترجم كتباً عديدة في المنطق والفلسفة والطبيعة ولكن أغلب ما ترجمه كان في علم الطب وكان

يترجم من اليونانية إلى السريان ومنها إلى العربية . وقيل أنه ترجم ٩٥ كتاباً إلى السريانية من كتب جالينوس ، نقل إلى العربية ٣٩ كتاباً منها .  
وبنشاط حركة الترجمة في العصر العباسي عكف بعض من أجادوا اللغتين الفارسية والعربية علي الترجمة من الفارسية ، من هؤلاء عبد الله بن المقفع ، إل نوبخت ، وموسى ويوسف ابنا خالد ، الحسن بن سهل ، البلاذري وغيرهم .

وهكذا استطاع المسلمون عن طريق حركة الترجمة الواسعة أن يتعرفوا علي التراث الذي خلقته كبرى الحضارات البشرية القديمة . بل عمدوا إلي فهم هذا التراث واستيعابه، ثم تصحيح ما وجدوا فيه أخطاء ثم لإضافة ما توصلوا إليه من إضافات علمية هامة إلي ذلك التراث في شكل نظريات علمية أصلية مبتكرة أصبحت بعد ذلك أسساً لبعض المباحث الطبيعية في الحضارة الحديثة التي نعيشها .

### ثالثاً : العلوم الطبيعية :

#### الرياضيات :

#### أ- الحساب :

أخذ العرب نظام الترقيم عن الهنود فهذبوها وكونوا منها مجموعتين عرفت احدهما بالارقام الهندية وهي التي لا تزال تستعمل في العالم الاسلامي وعرفت الثانية بالارقام الغبارية وهي التي تكتب بها الدول الاوروبية ارقامها وتسميها بالارقام العربية .

ووضع المسلمون أسس الحساب من جمع وطرح وقسمة وكسور كما اوجدوا رقم الصفر في القرن الثامن والثابت ان الغرب لم يعرف الصفر الا بعد اربعة قرون وقد امكن حل كثير من المعادلات الرياضية في مختلفة الدرجات بعد معرفة الصفر .

#### ب - الجبر:

تقدم علم الجبر في العهد الاسلامي حتى عرف هذا العلم بالاسم العربي في اللغات الاوروبية وكان الفضل الاكبر لتقدم هذا العلم الي محمد بن موسى الخوارزمي رئيس بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون وقد الف كتاب حساب الجبر والمقابلة وقد نجح في حل المعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة والرابعة ،نصر الدين الطوسي فوضع كتابا باسم الجبر مكن من حل المعادلات الجبرية والهندسة .

#### ج - الهندسة :

أخذ العرب أصول الهندسة عن اليونان وقد ترجم المسلمون كتاب اقليدس في الهندسة وسموه الأصول وذلك في عهد الخليفة المنصور وللعرب



نظريات هندسية كثيرة مثل تصانيف الحسن ابن الهيثم وقد استفاد المسلمون من الهندسة في تقدم فن الارقشة (الارابيسك).

#### د - حساب المثلثات:

يعتبر علم حساب المثلثات عربيا فقد اشتغل العرب بالمثلثات واستعموا المماسات والقواطع ونظائرها في قياس الزوايا والمثلثات ووضعوا الجداول التي مهدت لاكتشاف قانون اللوغاريتمات وهكذا يدين علم حساب المثلثات بوجوده لرياضي العرب المسلمين قهم اول من اقاموه علما مستقلا عن الفلك بعد أن كان مجرد معلومات تخدم الفلك وأرصاده ولعل البيروني هو أول رواد هذا الفرع من كما وفق العرب في وضع أصول الهندسة التحليلية التي تعود نشأتها في أوروبا الي ديكارت في القرن السابع عشر.

#### علم الفلك :

#### عوامل اهتمام المسلمون بعلم الفلك:

- ١- ذكر القرآن الكريم الكثير في القضايا الفلكية وأمرنا بالتدبر في عالم السماء والنجوم والكواكب مثل سورة النجم وسورة الطارق
- ٢- رغبة المسلمون في معرفة :
  - أ- أوقات الصلاة .
  - ب- رؤية هلال رمضان .
  - ج- الاتجاه الى القبلة .

ظهر علم الفلك في العصر الاموي حيث أن الامير خالد ابن يزيد ابن معاوية أمر بترجمة كتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب لهرمس الحكيم كما تم بناء أول مرصد فلكي في مدينة دمشق في عهد الامويين .

## مظاهر تقدم المسلمين في الفلك :

- ١- أنشأ العرب المسلمون مرصداً لرصد النجوم في بغداد في عهد المأمون والمرصد الحاكمى في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله.
  - ٢- كتبوا عن أوقات الخسوف والكسوف ورصدوا الاعتداليين الربيعي والخريفي.
  - ٣- استطاعوا حساب طول السنة الشمسية.
  - ٤- أول من عرفوا أصول الرسم على الكرة الأرضية.
  - ٥- اخترعوا أجهزة فلكية مثل الإسطرلاب.
  - ٦- اشتهر عدد من الفلكيين المسلمين منهم الخوارزمي وقد وضع عدداً من الكتب في الفلك أبرزها كتاب الزيج الاول والثاني والزيج عبارة عن جدول فلكي للنجوم وحركاتها.
- الحسن ابن الهيثم ويعتبر أعظم علماء العرب قاطبة في الرياضيات والفيزياء
- ## علم الفيزياء :

اطلع المسلمون على علوم اليونان الطبيعية وترجموا هذه الكتب ودرسوها ثم انتقدوها واخذوا بدورها يجربون النظريات القديمة ويراقبون التجارب فيزيدون عليها ويعدلون أخطاءها ثم يضعون ملاحظاتهم الجديدة عليها وأهم العلوم الطبيعية هي .

-الفيزياء: تنقسم الى علم الضوء - الصوت عرف ثابت بن قوة وموسى بن شاعر بتجاربه المختلفة فكرة الجاذبية فمهدوا لاكتشاف نيوتن لقوانين الجاذبية واخترع الفلكي ابن يونس المصري رقائق الساعة واستعمله

المسلمون في حساب الفترات الزمنية في الرصد وبذلك لم يكن جاليو هو الذى أوجد قوانينه.

وقطع المسلمون شوطاً بعيداً في علم الضوء فدرسوا مؤلفات ارخميدس واقليدس وعلقوا عليها و اضافوا اليها واشتهر ابن الهيثم في القرن الخامس الهجري في ابتكاراته العلمية اذ وضع كتاب المناظر وترجمت رسالته في المرئيات الي اللاتينية والايطالية واتخذها كبلر مرجعاً لأبحاثه، البيروني: اكتشف قانون الكثافة النوعية وحدد الكثافة النوعية لثمانية عشر نوعاً من الحجارة الكريمة. ومن أشهر علماء الصوت الفارابى والقزوينى.

### علم الطب :

اهتم العرب بالطب منذ اقدم الازمة فتكونت عندهم ثقافة طبية حسنة وكان الحارث بن كلدة من الاطباء المشهورين قبل الاسلام ولما جاء الاسلام وقامت الفتوحات الاسلامية زادت الحاجة الى الطب لمعالجة الجرحى والمرضى فاتجهوا الي العلوم الطبية واولوها عنايتهم واستوحوا من كتب من سبقهم من اليونان وغيرهم العلوم الطبية فاخذوها وصححوها و اضافوا اليها ابواباً جيدة فتقدم على ايديهم تقدماً ظاهراً فكان يوحنا بن ماسوية ت وحنين بن اسحاق وثابت بن قرة واستمر علم الطب مزدهراً عند المسلمين طوال العصور الوسطى وأصبح علماً وفناً تخصص له المعاهد.

### الأمراض التي عالجها العرب:

عرف العرب معالجة الامراض الباطنية و اضافوا الي ما اقتبسوا صفات جديدة عند وصفهم بعض الامراض المعدية كالجدري والحصبة وعرفوا التهاب السحايا والسل الرئوى وطرق انتقاله

- الحميات وأمراض الأطفال واكتشفوا طفيلية الانكلستوما على يد الشيخ ابن الرئيس في كتابة القانون في الطب وسماها الدودة المستديرة .

- تحدث عن الأمراض السارية وحاولوا تفتيت الحصى وعلاج النزيف بصب الماء الباردة كما عرفوا الامراض النفسية ودرسوا التشريح بتقطيع اجسام القردة بل أن عبد اللطيف البغدادي سافر من سوريا الي القاهرة لفحص الهياكل التي كانت موجودة قرب القاهرة وتوصل الي ان الفك الاسفل عبارة عن عظمة واحدة بدون مفصل وليس مؤلفا من عظمتين يجمع بينهما مفصل كما قال جالينوس.

وكان الاطباء يفصحون المريض بفحص النبض والبول ولهم كتب كثيرة فيها وفي اوصافهما وأحوالهما كما كتبوا في علم الوقاية وكانوا يقولون أن الواجب الرئيسي للطبيب هو حفظ الصحة وهذا ما يؤكده المثل العربي المشهورة الوقاية خير من العلاج .

### **التخصص في الطب :**

تنوعت الاختصاصات في الطب منها :

أ-الجراحة : مارس الأطباء الجراحة الطبية فقاموا باجراء عمليات كثيرة شملت معالجة الأورام الانفية وخياطة الاذن والشفة وقطع اللوزتين وشق أورام الحلق وقطع الأثداء السرطانية واخراج الحصاة من المثانة وخياطة الجروح واخراج العظام المكسورة واستعمل العرب آلات جراحية دقيقة بلغ عددها اكثر من ٢٨٠ لة لمختلف العمليات. واستعمل الجراحون التخدير باستعمال الخشخاش حتى يفقد المريض الوعي والاحساس .

ب- **الطب الباطني** : اكتشف المسلمون كثيرا من امراض المعدة والرئتين وغيرها من الأمراض الداخلية .

ج- **طب العيون** : أطلق على طب العيون الكحالة وعالج المسلمون العرب نتوء العين والتصاق الجفن وأمراض العيون الأخرى.

د- **طب الأسنان** : عالج الأطباء مرض الاسنان بقلع الاسنان التالفة وكانوا يشبكون الضراس المتحركة بالذهب.

**مدارس الطب** : أسس المسلمون مدارس الطب في مصر والشام وبغداد وغيرها وكان الطلاب يدرسون الطب وفق منهاج محدد ويمارسون التطبيق العملي في المستشفى النوري والمنصوري وبعد انتهاء الدراسة كانوا يتقدمون لامتحان تحت اشراف المحتسب ولم يكن يسمح للطبيب بممارسة المهنة الا بعد أداء اليمين الطبي واجتياز الامتحان والحصول على حق ممارسة الطب.

**المستشفيات** : شيد المسلمون المستشفيات لجميع الامراض وخصص قسم منها للأمراض النفسية والأمراض السارية وأقسام للنساء ومن أشهر المستشفيات المستشفى النوري بدمشق (نسبة الي نور الدين زنكي) وكان في المستشفيات أسرة وصيدليات وأطباء مقيمين ومكتبة وكان في بغداد وحدها ١٤ مستشفى في العصر العباسي أشهرها بيمارستان العضدي وكان اول من اقام بيمارستان هو الخليفة الوليد بن عبد الملك.

**بعض الأعلام في الطب :**

**أبو بكر الرازي** : أدرك أهمية العلاج الف في الادوية والمركبات والتشريح والجدي والكلبي والقلب والكبد وكان أهم كتبه في الطب:-

- الحاوي في علم التداوي - كتاب المنصوري وهو أول من قال بالعدوى الوراثية.

- ابن سينا : وهو شيخ أطباء العرب وقد لقب بالرئيس لتأثيره في الطب عدة قرون وله مؤلفات طبية عديدة أشهرها القانون في الطب تناول فيه كثيرا من الامراض كالانكلستوما والسل الرئوي والامراض الجلدية والتناسلية والاضطرابات العصبية والشلل وتكلم ابن سينا عن الامراض الخبيثة وعن انتقال الامراض التناسلية بالوراثة وقد بقى هذا الكتاب القانون يدرس في الجامعات الأوروبية حتى نهاية القرن السابع عشر. التيسير في المداواة والتدبير، وصف في كتبه امراض الامعاء وغشاء القلب والتهابات البلعوم والشلل وأعراض السرطان.

- ابن النفيس : ظهر في القرن السابع - الثالث عشر الميلادي تعلم في مدارس دمشق وتولي رئاسة المستشفى المنصوري في القاهرة له كتب كثيرة أشهرها الموجز وشرح تشريح القانون وصف فيه الدورة الدموية الرئوية لأول مرة في تاريخ الطب وبين ان الدم ينقى في الرئتين وهو اكتشاف يسبق اول القائلين به من الاوروبيين بثلاثة قرون.

- عمار بن على الموصلي: عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ويعتبر من الكحالين المشهورين وله كتاب في امراض العيون المنتخب في امراض العين أوضح فيه طرق استخراج الماء الازرق من العين.

الزهاوي: التعريف لمن عجز عن التأليف

وهناك مئات الاطباء ترجم لبضع مئات منهم ابن ابي اصبعة في كتابة طبقات الاطباء منهم على بن عيسى طبيب العيون الذى ظل كتابة تذكرة الكحالين المرجع الاول في جامعات اوروبا حتى القرن الثاني عشر والطبيب الزهراوي.

الخليفة مروان بن الحكم له السبق في الاهتمام بمجال ترجمة الكتب الطبية مثل مثل كتاب أهريد السكندرى أمر طبيبة ماسرجويه بترجمته وسمى الكناش ،وفى العصر العباسى كان الخليفة أبو جعفر المنصور من أوائل الخلفاء الذين اهتموا بالطب

### الصيدلية : (علم الاقرباين) :

برع المسلمون في الادوية النباتية والمعدنية والحيوانية واستتبوا انواعا عديدة من العقاقير واستخدموها في كثير من الامراض فعرفوا الاشربة والكحول والبنج وقد خلفوا الادوية أي الحبوب التي استخدمها المرضى واستخدم الرازي الزئبق في المراهم لمعالجة الامراض الجلدية وجربه على الحيوانات قبل وصفه للناس.

وكان الصيادلة خاضعين منذ خلافة المأمون للامتحان وكانت صيدلياتهم عرضه للتفتيش ومن اشهرهم بن البيطار الذى بحث واجبات الصيدلي وتركيب الحبوب والمراهم والدهونات في كتاب الجامع في الادوية المفردة - رشيد الصورى الذى وضع كتاب الأدوية المفردة المفردة وقد انشأ المسلمون مدارس الصيدلة ومخازن والصيدليات في المستشفيات، ومن أشهر العلماء :البیرونى : كتاب الصيدلة في الطب - ابن وافد : الأدوية المفردة ابن ميمون: السموم والتحرز من الأدوية القتالة

## الكيمياء :

يعتبر خالد بن يزيد بن معاوية اول من ادخل علم الكيمياء الي العربية حتى انه لقب بحكيم ال مروان وذلك عندما سمع عن فكرة تحويل المعادن القليلة القيمة الى معادن ثمينة فاستعان بالراهب اليونانى مارينوس لتعليمه هذا الفن وقد استعان بعدد من المترجمين لترجمة بعض الكتب الي العربية مثل اسطفان الحكيم.

واهتم الفيلسوف الكندي بعلم الكيمياء ولعل أهم علماء المسلمين واكثرهم شهرة في الكيمياء جابر بن حيان أبو الكيمياء الاسلامية الذى توفي وقد الف عدد من الكتب منها الوصية وكتاب السموم وحضر حامض الكبريتيك وكلوريد الصوديوم . خالد بن يزيد وينسب اليه كتاب الحرارة - كتاب الصحيفة الكبير - فردوس الحكمة ، أبو القاسم المجريطى: كتاب رتبة الحكيم

## انجازات علماء المسلمين فى الكيمياء :

- ١- اهتم المسلمون بعمليات الوزن الدقيق وكشفوا كثيرا من اسرار على الكيمياء الحديثة .
- ٢- عرفوا حامض الكبريتيك واشتقوا املاحه مثل كبريتات النحاس وحضر النشادر بواسطة التقطير واستخرجوا منه كثيرا من الأملاح والأسمدة وعرفوا خواص الاحماض والقلويات والكحول واليوريك .
- ٣- ابتكروا أجهزة التقطير والمزج والخلط .
- ٤- تنقية الفولاذ من الشوائب وصناعة ورق غير قابل للاحتراق.



٥- استختم العرب الكيمياء في الطب والصناعات وعلم العقاقير وتركيب الادوية وتنقية المعادن وتركيب الروائح العطرية ودبغ الجلود وصنع الاقمشة.

### الفلسفة :

الفلسفة كلمة يونانية الاصل معناها الحكمة وفيلسوف معناه محب الحكمة وبدا ظهور الفلسفة في العهد الاموي ثم تطورت الفلسفة في العصر العباسي بعد قيام حركة الترجمة:

١- استخدمها المسلمون في أول الأمر كسلاح للدفاع عن النفس ثم أحبوها لذاتها فودوا فيها المتعة العقلية.

٢- اشتداد الجدل بين المسلمين واتباع الديانة المسيحية.

٣- كان لكتب الفلسفة المتوفرة في انطاكية وحران والاسكندرية وجنديسابور الفارسية بالاضافة الي تشجيع الخليفة المأمون بالحصول على المخطوطات الفلسفية الفضل في انتشار هذا العلم.

يعتبر عبد الله بن المقفع الفارسي أول من اعتنى بعلم الفلسفة وترجم كتب ارسطو الفلسفية عن الفارسية كما يعتقد. لقد اثار ادخال الفلسفة في الدين عداوة بعض رجال الدين مثل الغزالي وألف كتابا ضدهم بعنوان تهافت الفلاسفة.

### علماء الفلسفة :

- الكندي: ألف كثيراً من الكتب الفلسفية التي تبحث في مبادئ المنطق والعلوم الطبيعية وقد لقب بفيلسوف العرب. ومن كتب الكندي المشهورة كتاب التوحيد - كتاب اثبات النبوة.

- **أبو نصر الفارابي** : شرح جميع كتب ارسطو لقب بفيلسوف الاسلام والمعلم الثاني على اعتبار ان ارسطو كان يلقب بالمعلم الاول. وضع عددا من المصنفات اشهرها آراء أهل المدينة الفاضلة الذى تناول فيه المجتمع المثالي وصفات رئيس المدينة وهو الذى تمكن من اختراع آلة القانون في الموسيقى.
- **ابن سينا** : وهو فارسي الاصل ذاع صيته في الفلسفة والطب قرأ العلوم ولاسيما علوم القرآن والحديث والفقه الف عدد من الكتب اشهرها كتاب الشفاء ويتكون من ١٨ مجلدا وهو موسوعة فلسفية كبرى شملت المنطق والطبيعات والالهيات وقد ترجم الكتاب الي اللاتينية ثم الي اللغات الأوروبية .
- **ابن باجة** : فيلسوف اندلسي عاش في عصر المرابطين وقد شرح مذاهب ارسطو وله كتاب تدبير الموحد ترجم الي اللغة اللاتينية .
- **ابن طفيل** : عاش في غرناطة في عصر الموحدين وكان طبيا اشتهر في الفلسفة ولاسيما كتابة حي بن يقظان وقد شرح ابن طفيل الافلاطونية الحديثة بصورة اسلامية.
- **ابن رشد** : عاش في كنف امراء الموحدين ويعتبر من اشهر فلاسفة الاندلس وهو تلميذ ابن طفيل وشرح ارسطو ورد على الغزالي بكتاب تهافت التهافت. اتهم بالزندقة لكثرة ابجائة العقلية لذلك احرق امير الموحدين كتبه الفلسفية. هذا وقد ترجم الاوروبيون كتب الفلاسفة المسلمين الي اللاتينية ولاسيما كتب الفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد والرازي ووضعو لها الشروح.

## رابعاً : العلوم الاجتماعية :

### التاريخ :

هو علم يبحث في وقائع الزمان والمكان وموضوعه هو الانسان كان العرب المسلمون أول من بحث في اسباب الحوادث ونتائجها قبل الأوروبيين بقرون عديدة وقد اعتبر ابن خلدون في مقدمته التاريخ علماً جديداً لا رواية وأنه استعمل التحقيق والبحث العلمي وتحليل الاسباب عند بحثه في اية حادثة تاريخية وقد اعتبر المؤرخون المدثون مقدمة ابن خلدون أول محاولة علمية لتفسير التاريخ تفسير فلسفياً فيه الكثير من الدروس والعبر والمواعظ وربط الاسباب بمسبباتها .

### مراحل تطور التاريخ :

- ١- **السيرة والمغازي** : هي كتابات تناولت سيرة النبي صل الله عليه وسلم منذ ميلاده حتى وفاته واشتملت على غزواته. كان أول من دون سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هو محمد بن اسحاق وأقدم ما وصل إلينا منها كتاب سيرة ابن هشام وقد استمد ابن هشام معلوماته من محمد بن اسحاق.
- ٢- **الاخباريون** : جماعة من الناس تخصصت في رواية أخبار الأقدمين وظهروا في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي ومن عوامل ظهورهم.
- ٣- **حاجة المشتغلين بتفسير القرآن الكريم لبعض المعرفة التاريخية.**
- ٤- **رغبة الملوك في معرفة أخبار الامم السابقة والديانات البائدة.**
- ٥- **تفشي الشعوبية في العصر الاموي مما جعل الموالي يبحثون عن تاريخهم لابراره.**

## التاريخ فى القرن الرابع الهجرى :

وصل الى قمة تطورة وذلك بسبب :

١- ظهور عدد كبير من المؤرخين مثل المسعودى وكتابه : مروج الذهب ومعادن الجواهر،التنوخى وكتابه جامع التواريخ،ابن مسكويه وكتابه تجارب الأمم .

٢- ظهور عدد كبير من المؤرخين الرحالة أمثال ابن جبير وابن بطوطة

٣- ظهور كتب التاريخ المحلية للاقطار والمدن وكتب الطبقات.

فروع التاريخ انقسمت كتب التاريخ من حيث ترتيبها الي:

١- التاريخ الحولى: وهي ذكر الحوادث سنة بعد سنة فلكي نستقصى اخبار

حادثة وقعت في عدة سنين يجب العودة الي السنين التي وقعت فيها.

٢- التاريخ المتسلسل : وهو كما نجده في كتب التاريخ المعاصرة إذا يتحدث

عن تاريخ الدولة أو الحادثة ويسردها الي أن ينتهي منها ثم ينتقل الي غيرها

مثل كتاب الأخبار الطوال :أبو حنيفة الدنيورى.

وتقسم الكتب التاريخية حسب الموضوع إلي:

أ- كتب السيرة : تبحث هذه الكتب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأخبار الصحابة والتابعين والمجاهدين ومن أشهرها سيرة ابن هشام وكتاب

الطبقات لابن سعد وعيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة.

ب- كتب الانساب: تهتم بانساب العرب واصولهم وقد كان للعرب ولع خاص

بهذا العلم نظرا للعصبية القبلية التي كانت متأصلة فيهم قبل الاسلام ومن

هذه الكتب جمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي.

ج- **كتب التراجم** : تتناول هذه الكتب تراجم اهل العلم والمعرفة في المواضيع المختلفة كالعلوم والادب والقصة ومن هذه الكتب معجم الادباء لياقوت الحموى ووفيات الاعيان لابن خلكان.

د- **كتب الوقائع والحروب** : تختص هذه الكتب بالفتوحات الاسلامية مثل فتوح البلدان للبلاذرى وفتوح الشام للواقدي.

هـ- **تاريخ البلدان** : وتتحدث هذه الكتب عن المدن والولايات مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر والخطط للمقريزي.

و- **كتب التاريخ العام** : وتبحث في التاريخ في التاريخ العام ومعظمها يبدأ من بدء الخليفة وينتهي بعصر امؤرخ ومن الكتب المشهورة في هذا الميدان: تاريخ الامم والملوك للطبرى وهو يرتب الحوادث حسب السنين والكامل في التاريخ لابن الاثير.

### **الجغرافيا:**

كانت معرفة العرب قبل الإسلام عن الجغرافية محدودة إلا أن المسلمين اقتبسوا كلمة الجغرافيا عن اليونان في عصر الترجمة وازداد اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا للأسباب التالية :

١- معرفة البلاد التي فتحها العرب وحالة سكانها الاجتماعية لتنظيم ادارة هذه البلاد .

٢- معرفة العرب الطرق التجارية عبر الولايات الاسلامية المختلفة والى الدول المجاورة ومعرفة الطرق المؤدية الي الحجاز لاداء فريضة الحج.

٣- الرحلة في طلب العلم حيث هاجر بعض الصحابة للتأكد والتحقق من صحة بعض الأحاديث.

٤- اطلاع العرب على كتب الجغرافية للامم السابقة بعد ترجمتها كاطلاعم على كتاب بطليموس في الجغرافيا.

وقد صنفت المؤلفات الجغرافية عند العرب المسلمين وفقا لمواضيعها  
أ- كتب الرحلات : وتبحث في الرحلات التي قام بها الرحالة مثل رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة وغيرها.

ب- المعاجم الجغرافية : وهي المعاجم التي تذكر اسماء البلاد ومواقعها وفقاً للحروف الابجدية مثل معجم البلدان لياقوت الحموى .

ج- كتب الجغرافيا الإقليمية : تتناول هذه الكتب بعض الاقاليم بالدراسة فتصف أماكنها ومدنها وتذكر أخبارها مثل كتاب الاثار للمقريزي الذي يتحدث عن جغرافيا مصر .

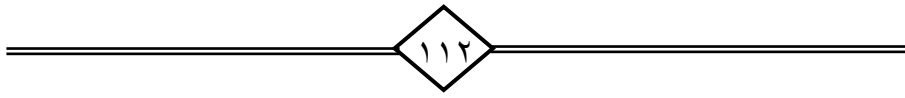
د- كتب الجغرافية العامة : وتختص بدراسة جغرافية العالم المعروف انذاك بما في ذلك العالم الاسلامي مثل كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للدريسي وقد رسم الدريسي خريطة العالم كما صنع كرة من الفضة تمثل الكرة الأرضية لروجر ملك صقلية.

هـ- كتب الجغرافية البحرية: تحدثت هذه الكتب عن جغرافية البحار من حيث الانواء والرياح والامواج والمد والجزر واثرت ذلك على الملاحة وقد اشتهر عدد من الملاحين الذين وضعوا العديد من المصنفات في هذا الميدان منهم ابن ماجد الذي وضع اكثر من خمسين كتابا في الجغرافية البحرية والملاحة

والذى عرف في اواخر القرن الخامس عشر كمرشد لاكتشاف فاسكو دي  
غاما لطريق الهند.

### علماء الجغرافيا:

- ١- الاصطخرى: المسالك والممالك. ٢- ابن حوقل : صورة الأرض.
- ٣- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم.
- ٤- البيرونى : الاثار الباقية عن القرون الخالية.
- ٥- الادريسى: نزهة المشتاق في اختراق الافاق
- ٦- القزوينى: اثار البلاد وأخبار العباد





## الفصل الثامن

### النظام المالي في الإسلام

أولاً : موارد بيت المال .

ثانياً : المسكوكات الإسلامية .

### النظام المالي في الدولة الإسلامية :

يُعتبر النظام المالي الإسلامي من أكثر الأنظمة استقلاً، وأنبها غاية في حضارتنا، وقد قرر القرآن الكريم هذا فهدفت الحضارة الإسلامية إلى وجوب تداول الأموال بين الناس جميعاً، وعدم اقتصار ذلك على فئة الأغنياء لأن ذلك مما يُسبب حرجاً في المجتمع الإسلامي، وإعلاءً لطبقة بعينها دون وجه حق. أهمية بيت المال ووارداته :

بيت المال هو المؤسسة التي تُشرف على ما يرد من الأموال وما يخرج منها في أوجه النفقات المختلفة؛ لتكون تحت يد الخليفة أو الوالي، يضعها فيما أمر الله به أن توضع بما يصلح شئون الأمة في السلم والحرب النشأة التاريخية لبيت المال :

### بيت المال في عهد عمر بن الخطاب :

لم يتم انشاء بيتا للمال في عهد الرسول (ص) ولا في عهد أبو بكر نتيجة لصغر مساحة الدولة وان الاموال كانت توزع في حينها وكانت البداية الحقيقية لبيت المال في عهد الخليفة عمر بسبب كثرة الخيرات والفتوحات وحينما اتسعت فتوحات الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة، وخاصة في عهدي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان.

وكانت سياسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تقوم على عدم إخراج الأموال في بيت المال للنائب؛ بل كان يجري توزيعها لمستحقيها أولاً بأول، فيذكر ابن الجوزي أن عمر "كان يأمر بكسح بيت المال مرة في السنة". أي أنه كان يُفرغ بيت المال مما فيه، لتوزيعه على مستحقيه كل عام، ولا غرو أن هذا العمل من الأعمال الجليلة التي قامت بها الحضارة الإسلامية؛ فقد حرصت مؤسسة الخلافة منذ فترة مبكرة على إشراك الرعية في أخذ أنصبتها التي

قسمتها الدولة فيما بينهم، في وقت معلوم من كل عام دون تأخير أو تلوؤ، وذلك نوع من أنواع التكافل والنظام الممنهج بين الراعي والرعية.

### في عهد علي بن أبي طالب :

كان الخليفة علي بن أبي طالب يقسم أموال بيت المال كل جمعة حتى لا يُبقي فيه شيئاً خوفاً من فتنة المال على الراعي والرعية، ولذلك دخل بيت المال ذات مرة: فوجد الذهب والفضة، فقال: يا صفراء اصفري، ويا بيضاء ابیضي، وغُري غيري، لا حاجة لي فيك."

واللافت للنظر أن الخلفاء قد اتبعوا سياسة تقضي بالفصل بين الإدارتين السياسية والمالية؛ منعاً للبس، وتقادياً للمشكلات، وفصلاً للسلطات؛ فقد عين عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على إمارة الكوفة، وبعث معه عبد الله بن مسعود على بيت المال، وجعله مُعلماً ووزيراً وأهم واردات بيت المال: الزكاة، والخراج، والجزية، والغنيمة، والفبيء، والمكوس

### ١- الزكاة :

فريضة فرضها الله سبحانه وتعالى على المسلمين وركنا من اركان الاسلام الخمسة وتسمى الصدقة حق المال يؤديه المسلمون ليظهروا اموالهم وهي حق الفقير في مال الغني وقد امر الله نبيه الكريم ان ياخذها من اموال الاغنياء ليردها الى الفقراء .

وقد حددت السنة النبوية مصادر الزكاة وتمثلت فيما ياتي :

- ١- زكاة على اموال التجارة .
- ٢- زكاة على الذهب والفضة .
- ٣- زكاة على الزروع والثمار .
- ٤- زكاة على المواشي والانعام.

**مصاريف الزكاة:** وقد حددها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

( إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم )  
**٢-الغنيمة :**

ما يؤخذ من اموال اعداء الاسلام نتيجة للغلبة عليهم وقهرهم وما كان يصيبه المسلمون من المشركين من متاع وسلاح الي غير ذلك مما يغتنمه المنتصرون في الحرب وحيث تجمع الغنائم يقسمها الامام خمسة اسهم ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.  
 أقسام الغنيمة: تشتمل على أربعة أقسام :

١-الاسرى واختلف الفقهاء فى الحكم عليهم فريق رأى ان يقتلوا وفريق رأى ان يتم تبادلهم بأسرى. المسلمين وفريق رأى قبول الفدية عنهم واطلاق سراحهم والأراضي .

٢- السباء يراد به النساء والاطفال

٣- الاراضي التي استولى المسلمون عليها عنوة وقهرا فتقسم بين الغانمين والاموال فتقسم على الغانمين .

٤- الأموال.

**٣-الفئ:**

مال يؤخذ من المشركين عفوا بدون قتال ويقسم ايضا خمسة اخماس ويكون خمسة الاول مقسوما الي خمسة اسهم لرسول الله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .

أما الاخماس الاربعة المتبقية فكانت تقسم في صدر الاسلام بين الاسلحة الحربية حتى دون عمر بن الخطاب الدواوين فعرفت مقادير ارزاق الجند ومعاشاتهم.

٤- **المكوس** : وهى ضرائب غير شرعية فرضتها الدولة وتنقسم إلى أربع أجزاء:

- ١- الجمارك: الضرائب او الرسوم التي تحصلها الدولة من تجارة المشركين واهل الذمة المارين بها على ثغور المسلمين برا او بحرا .
- ٢- العشور: ضرائب تؤخذ من السفن التي تمر من الثغور الاسلامية مرة واحدة فى العام ويحصل منها العشر
- ٣- الخمس : ضريبة تفرض على ما يخرج من البحر من لؤلؤ وعنبر واحجار كريمة
- ٤- المواريث: وهى اموال ليس لها صاحب فتؤول الى الدولة.

#### ٥- **الخراج** :

الخراج أهم وأقدم الموارد المالية لبيت المال لارتباطه بالأرض الزراعية منذ قديم الزمن وهو عبارة عن مقدار من المال او الحاصلات يفرض على نوعين من الأراضي  
أنواع أرض الخراج:

- ١- الأرض التي فتحها المسلمون صلحا وظلت فى أيدي اهلها يزرعونها مقابل دفع الخراج .
- ٢- الأرض التي استولي عليها المسلمون عنوة أو فتحوها حربا ورأى الخليفة ان يتركها لأهلها يزرعونها مقابل دفع الخراج بدلا من أن يوزعها بين

المحاربين حتى لا ينشغلوا بالزراعة ويتركوا الدفاع عن الدولة وغالبا ما كان يتم ذلك بعد استرضاء المحاربين أو بتعويضهم عن نصيبهم .

٣- وكان الخراج أما يدفع حاصلات زراعية أو غلال مثلما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع يهود خيبر واخذ نصف ما تخرجه الأراضي من محصول او اموال نقدية مثلما فعل الخليفة عمر مع أرض السود بالعراق واخذ اموال نقدية.

والخراج يرتبط بالسنة الشمسية لارتباط الزراعة بالنظام الشمسي والفصول الاربعة وكان يتولي جباية الخراج عمال مستقلون عن ولاية الأقاليم .

والخراج يعد أهم مصادر بيت المال ويرجع ذلك الى :

١- تدفع منه رواتب الجند والموظفين والولاية والقضاة .

٢- كان ما يتبقى من الخراج يرسل الى بيت المال العام بالعاصمة.

**٦- الجزية:**

ضريبة تفرض على رؤوس غير المسلمين من اهل الذمة كاليهود والنصارى وتسقط بالإسلام والهدف الأساسي من فرض الجزية على الذميين هو ايجاد التوازن في الدولة الاسلامية عن طريق التكافؤ فالمسلمون والذميون في نظر الاسلام رعية لدولة واحدة ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمصالح الدولة العامة بنسبة واحدة ومن هنا فرضت الجزية على اهل الذمة في مقابل فرض الزكاة على المسلمين.

فئات اهل الذمة:

وقد انضم الى فئات اهل الذمة المجوس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب والبربر في عهد الخليفة عثمان بن عفان والصابئة في عهد الخليفة المأمون هذا بالإضافة الى اليهود والنصارى.

### الجزية لم تكن من مستحدثات الاسلام :

١- عرفت عند اليونانيون القدماء باسم ضريبة الرؤوس وفرضوها على الفينيقيين لحمايتهم من سكان اسيا الصغرى .

٢- فرضها الفرس والروم على الشعوب التي خضعت لهم.

### الفئات الغير مستحقة للجزية:

الشيخوخ والاطفال والنساء والرهبان والعميان ولما تضخمت شئون الخلافة وازدادت نفقاتها وقلت موارد بيت المال بإسلام اهالي البلاد المفتوحة كان لابد من ايجاد موارد جديدة ففرضت ضرائب على الانتاج اتخذت أسماء مختلفة :

"هلالى باعتبارها ضريبة على البضائع الموجودة في الاسواق وتجبى مع هلال كل شهر عربي والسواحل لأنها تجبى على كل ما الساحل من صادر ووارد.

### مصاريف بيت المال :

- ١- الدولة تتفق منها على تجهيز الحملات العسكرية وشراء المعدات الحربية.
- ٢- رواتب الجند والموظفين والولاية والقضاة ومعاشات الموظفين.
- ٣- الانفاق على المشروعات والمنشآت العامة مثل حفر الترعر والقنوات وتطهيرها واقامة الجسور وبناء المستشفيات ومنح العلماء والادباء .
- ٤- النفقة على المسجونين واسرى الحرب ودفن موتاهم وكان يودع الفائض في بيت المال للانتفاع منه عند الحاجة.

ومن العرض السابق يتضح لنا النظام الاقتصادي الدقيق الذي ابتكرته الحضارة الإسلامية في خطواتها الأولى، ومبكراً جداً قبل أي حضارة أخرى سابقة؛ فهي صاحبة السبق في تنظيم الموارد والمصارف المالية الخاصة

بالدولة، ويبقى بعد هذه الموارد والمصارف كلها أنه قد تفاجأ الدولة بكارثة أو مجاعة، أو قحط شديد، أو وباء قاتل، وهنا يكون ندب الأغنياء من المسلمين من غير إكراه للصدقة والعطاء لإنقاذ جمهور المسلمين، كما فعل عثمان بن عفان مع المجاعة في عهد أبي بكر الصديق عندما تصدق بأموال طائلة لنجدة المسلمين، وكما فعل عبد الرحمن بن عوف أيام عمر بن الخطاب، وأمثال ذلك كثير عبر التاريخ الإسلامي؛ مما يضمن استمرارية تدفق الأموال على خزانة الدولة، دون إكراه أو مصادرة أو إجبار.

### المسكوكات الإسلامية

#### العملات والنقود الإسلامية:

يُطلق عليها لفظ السكة الذي يعبر عن معان متعددة تدور كلها حول النقود التي تعاملت بها الشعوب العربية والإسلامية من دنانير ذهبية ودرهم فضية وفلوس نحاسية.

يقصد بلفظ السكة أحياناً تلك النقوش التي تزين بها هذه النقود على اختلاف أنواعها. وأحياناً أخرى يعني قوالب السك التي يُختم بها على العملة المتداولة، كما يطلق أيضاً على الوظيفة التي تقوم على سك العملة تحت إشراف الدولة ويقدم العلامة العربي ابن خلدون تعريفاً جامعاً للسكة فيقول: السكة هي الختم على الدنانير والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد، يُنقش فيها صور وكلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار والدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد تقويم الدراهم والدنانير بوزن معين يُصطلح عليه، فيكون التعامل بها عدداً.. والسكة تعد مظهرًا من مظاهر سلطة الخليفة أو السلطان أو الحاكم.



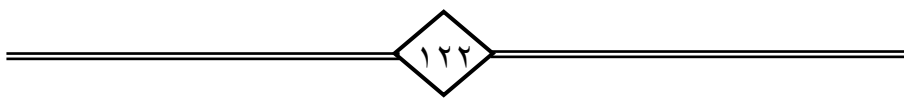
### أهمية السكة:

١- إلى جانب كونها وثائق رسمية لا يمكن الطعن فيها أو مصدرًا من مصادر التاريخ، تساعد على استنباط الحقائق التاريخية، سواء ما يتعلق منها بالأسماء أو العبارات الدينية المنقوشة عليها.

٢- سجالاً للألقاب والنعوت التي تلقي الضوء على كثير من الأحداث السياسية التي تثبت أو تنفي تبعية الولاة أو السلاطين للخلافة للحكومات المركزية في التاريخ الإسلامي

٣- ارتبطت السكة ارتباطاً وثيقاً بالفنون الإسلامية، حيث تساعد نقوشها في التعرف على الكتابات الأثرية المنقوشة عليها ودراسة دلالاتها السياسية والتاريخية والعقائدية إلى جانب كونها مصدرًا مهمًا للتعرف على أسماء البلاد والأماكن التي ضربت فيها، كذلك تفيد دراسة السكة في إلقاء الضوء على حالة العالم الإسلامي الاقتصادية عبر العصور التاريخية من خلال التعرف على قيمة العيار في السكة ومقدار وزنها

وقد عُرفت الأماكن التي تُسك فيها النقود العربية في حواضر العالم الإسلامي في العصور الوسطى باسم دار السكة أو دار الضرب. وهي على هيئة منشأة صناعية تتبع السلطان أو الحاكم وتقوم بإصدار عملات نقدية ذهبية أو فضية أو نحاسية أو برونزية. وكانت دار السكة إبان الفتح الإسلامي يغلب عليها الطابع البيزنطي والفارسي، إلى أن قام الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان عام ٧٤هـ/٦٩٤م بتعريب السكة وإنشاء دور إسلامية جديدة لضرب العملة في عدد من حواضر العالم الإسلامي، وحملت كل من الشام ومصر مشعل الإصلاح النقدي الذي أضاءته العاصمة الأموية في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان.



قائمة  
المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

ابن الاثير (عز الدين ابو الحسن على) :

- الكامل في التاريخ - ١٣ جزءا - دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٥.

ابن طباطبا (محمد بن على) :

- الفخري في الادب السلطانية دار صادر بيروت ١٩٦٠

المارودي (أبو الحسن):

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية القاهرة ١٩٦٩.

الطبري (محمد بن جرير):

- تاريخ الرسل والملوك تحقيق مجد ابو الفضل ابراهيم ١١ جزءا القاهرة ١٩٦٩-١٩٧١

ثانياً : المراجع العربية:

أبوزيد شلبي(دكتور):

- تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي، القاهرة ، ١٩٦٤م

أحمد شلبي (دكتور):

- موسوعة الحضارة الاسلامية الجزء الخامس القاهرة ١٩٧٢.

أحمد عبد الرازق (دكتور) :

- تاريخ مصر الاسلامية واثارها دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٣ .

أحمد ناصف واخرون(دكتور) :

- الحضارة الاسلامية، طنطا، ٢٠٠٨م.

آدم متز :

- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة جزءان القاهرة ١٩٥٧.

حسن الباشا (دكتور):

- الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ٣ اجزاء ١٩٦٥ - ١٩٦٨ .

حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن (دكتور) :

- النظم الاسلامية، القاهرة، ١٩٧٠ م.

سعيد عاشور (دكتور ) واخرون :

- دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ذات السلاسل الكويت  
١٩٨٦ .

ضياء الدين الرئيس (دكتور):

- النظريات السياسية الاسلامية القاهرة ١٩٦٩ .

- الخراج في الدولة الاسلامية القاهرة ١٩٧١ .

فتحية النبراوي (دكتورة ) :

- النظم والحضارة الاسلامية دار الفكر العربي ١٩٩٩ .

قدري حافظ طوقان :

- علماء العرب وما أعطوه للحضارة بيروت .

- العلوم عند العرب القاهرة ١٩٨٠ .

كرم حلمى فرحات (دكتور) :

- الحضارة الاسلامية، القاهرة، ٢٠١٠ م.

ول ديورانت:

- قصة الحضارة المجلد الرابع.

## الفهرس

| الصفحة | الموضوع   |
|--------|---|
|        | الفصل الأول                                       |
| ١٣-٧   | مفهوم الحضارة الاسلامية وأهم مقوماتها<br>وخصائصها |
|        | أولاً : مفهوم الحضارة عبر العصور                  |
|        | ثانياً : أسس الحضارة الاسلامية                    |
|        | ثالثاً : خصائص الحضارة الاسلامية                  |
|        | الفصل الثاني                                      |
| ٣٤-١٧  | النظام السياسى فى الحضارة الاسلامية               |
|        | أولاً : الخلافة                                   |
|        | ثانياً : الوزارة                                  |
|        | ثالثاً : الحجابة                                  |
|        | الفصل الثالث                                      |
| ٦٠-٣٧  | النظام الادارى فى الحضارة الاسلامية               |
|        | أولاً : الامارة على البلدان                       |
|        | ثانياً: الدواوين                                  |
|        | ثالثاً: القضاء                                    |
|        | رابعاً: الحسبة                                    |
|        | خامساً: الشرطة                                    |
|        | سادساً: الجيش والبحرية                            |
|        | الفصل الرابع                                      |
| ٧٠-٦١  | صلاح الدين الأيوبي                                |

### الفصل الخامس

#### أولاً : عناصر المجتمع الاسلامى

١-العرب

٢-الموالى

٣-أهل الذمة

٤-المرأة

٧٠-٨٠

### الفصل السادس

#### الحياة الاقتصادية في الإسلام

أولاً : زراعة .

ثانياً : صناعة .

ثالثاً : تجارة.

٨١-١٠٩

### الفصل السابع

#### الحياة الفكرية والعلمية فى الاسلام

أولاً:العلوم الدينية

ثانياً : العلوم اللغوية

ثالثاً:العلوم الطبيعية

رابعاً:العلوم الاجتماعية

١١٠-

١٢٢

### الفصل الثامن

#### النظام المالى فى الإسلام

أولاً : موارد بيت المال

